# "طوق الحمامة في الألفة والألاف"

## دراسة تحليلية نقدية

إعداد


**د. عبير عبد الصادق محمد بدوي**

الأستاذ المساعد قسم الأدب والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية



١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

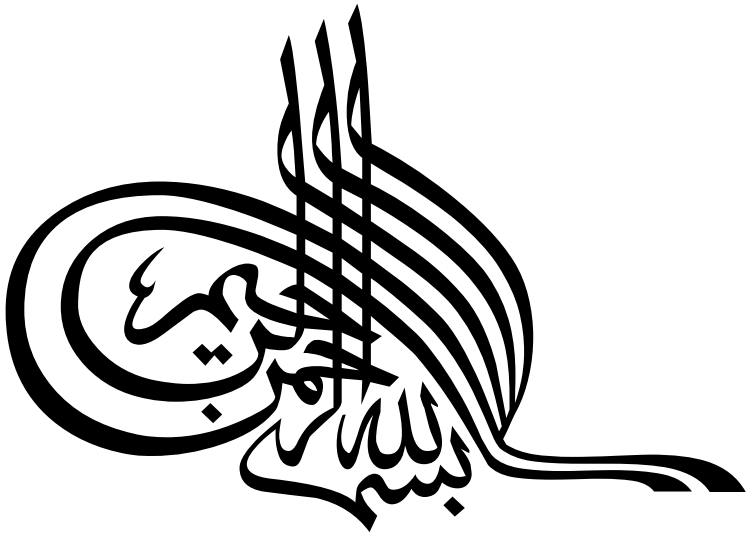

**وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذيتضمنه القرطاس بل هو في صدري**

**يسير معي حيث استقلت ركائبيوينزل إن أنزل ويدفن في قبري[1] ]**

ابن حزم

[1]) طوق الحمامة : ح .

**مقدمة :**

# طوق الحمامة في الألفة والألاف دراسة تحليلية نقدية

**الأمة العربية إحدى الأمم التي كثر حظها من الحب ونصيبها من الكلام في شأنه ؛لرقة طباعها ، ولين عواطفها ، وتجافي أكبادها عن الغلظة وقلوبها عن القسوة إلا في بعض مواطن الغضب لما يوجبه الذود عن الأعراض والنفوس، فقد عرف العرب الحب وتغنوا في تعريفه ونعته ووصفه حتى صار الشغل الشاغل للجم الكثير ممن وهب قوة القول منهم سواء في ذلك الشاعر والناثر والعالم والفقيه والمحدث والمتصوف والحكيم.[١]**

**وقد أوسعوا له من لغتهم سعة تدل على مكانه من نفوسهم ومكانهم من الفلسفة الفطرية ، ومقدار ما لديهم من الخلابة والاقناع فلو جمع ما لخصوه به من الشعر والنثر المبثوث هنا وهناك من كتب الأدب والتاريخ والاجتماع لضاقت عنه ضخام الأجلاد مما لم تستطع فلسفة القرن العشرين "أي الفلسفة الحديثة" بما دعمها من فن وعلم وما تقدمها من فلسفات أن تزيد عليه شيئا يذكر .[٢]**

**لهذا يُعد كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» من أروع وأجمل ما خُط من أدب العصر الوسيط في دراسة الحب وأحواله وبواعثه، وقد نال من الشهرة**

---

[١] ) انظر طوق الحمامة في الألفة والألاف ، الإمام محمد أبي علي حزم الأندلسي ، ط/ مكتبة عرفة بدمشق ، محمد ياسين عرفه ، س، ع.

[٢] ) المرجع السابق ،ع.

**العالمية ما جعله يترجم إلى عدة لغات، ويصبح موضوع دراسات متعددة، وهو بحق أثر بالغ القيمة وسيظل دائمًا موضع درس وتفسير.[١]]**

**وتوقعت بداية بحثي أن يَكتب ابن حزم كتابه " طوق الحمامة " عن الحب العذري أو الصوفي أو الأفلاطوني، وجاء الكتاب عكس توقعي فكان الحب الدنيوي فشدني أكثر للدراسة والبحث في موضوعاته ومعرفة أغواره وأثار هذا الحدث روح البحث في مغزى هذا الكتاب بالنسبة لي وسرعان ما انقشعت مفاجأتي خاصة بعدأن أكد ابن حزم في كل باب من أبواب الكتاب على أن الاعتبارات الدينية وحتى الصوفية ليست بعيدة عن مجال التأثير في نظرية ابن حزم.**

**ولعل حكاية "الإصبع والسراج" التي يوردها ابن حزم الأندلسي في كتابه: "طوق الحمامة في الألفة والألاّف" أن توضح شيئًا من المقصود بالحب الدنيوي.**

**وأما في السياق الذي نحن بصدده، فإنني أرى أن بالإمكان الإشارة إلى الحكاية نفسها باعتبارها تكشف عن جوهر تجربة الحب الدنيوي الذي تمتزج به الرغبة بالحب وتحيل الرغبة التي هي حالة آنية زائلة إلى نزوع دائم وحالة مستمرة.[٢]]**

---

[١] ) انظررسائل ابن حزم الأندلسيلابن حزم، تحقيق إحسان عباس،ط/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت – لبنانط/ ١ ، ١٩٨٠م، ١.

[٢] ) راجع : أدب الحب الدنيوي عند العرب عمره تسعة قرون ،خلدون الشمعة.صحيفة العرب ، نُشر في ٢١/٠٢/٢٠١٦، العدد: ١٠١٩٢، ص،١١.
http://www.alarab.co.uk/?action=reset

حيث يصف ابن حزم الأندلسي في "طوق الحمامة" في باب " فضل التعفف " [١]تجربة شاب حسن الوجه من أهل قرطبة، وقد تعبّد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله وقد سقطت بينهما مؤونة التحفظ، فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده فعرضت لصاحب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على أن ينصرف مسرعًا.

ونزل الشاب في داره مع امرأته وكانت غاية في الحسن..... فأطال رب المنزل المقام إلى أن مشى العسس ولم يمكنه من الانصراف إلى منزله، فلما علمت المرأة بفوات الوقت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة، تاقت نفسها إلى ذلك الفتى،فبرزت إليه ودعته إلى نفسها ولا ثالث لهما الا الله عز وجل فهم بها ثم ثاب إليه عقله وفكر في الله عز وجل ، فوضع إصبعه على السراج فتفقع ثم قال يا نفس ذوقي هذا، و أين هذا من نار جهنم فهال المرأة ما رأت، ثم عاودته ..... فعاد إلى الفعلة الأولى فانبلج الصباح وسبابته قد اصطلتها النار.[٢]

هذه الحكاية التي يعرضها الفقيه القرطبي ابن حزم الأندلسي تُبرز ملامح من الحب الدنيوي عند العرب باعتباره يمثل تجربة وجودية أرضية لا تفصل، أو ربما تدمج بين الرغبة التي هي حالة آنية وبين الحب الذي يتسم بأنه نزوع دائم وحالة مستمرة. بل لعلها قبل ذلك كله، تقدم نموذجًا متميزًا من نماذج

[١] ) طوق الحمامة : ١٤١.

[٢] ) طوق الحمامة : ١٤٢.

**الكتابة عن الكيمياء العاطفية وعن الحب البشري الذي يشعر به تجاه معشوقته.[1]]**

**والدراسة التي بين أيدينا تقع في ثلاث فصول ومقدمةتحدثت في المقدمة عن سبب اختيار الموضوع ، وهدف البحث ، وأهمية البحث ، ومنهج البحث ، وتقسيم البحث ، وتمهيد جاء الحديث فيه عن ماهية أولية الحديث عن الحب وكُتابه قبل ابن حزم وفي عصره .**

**ثم جاء الفصل الأول : للتعريف بكتاب طوق الحمامة ومؤلفه في قسمين:**

**القسم الأول :**

**التعريف بكتاب طوق الحمامة ، اسم الكتاب ، وعصره، وسبب تأليف الكتاب ، وتقسيمات الكتاب، الدراسات التي كُتبت عن طوق الحمامة باللغة العربية،الدراسات التي كُتبت عن طوق الحمامة باللغات الأجنبية.**

**القسم الثاني :**

**الحديث عن ابن حزم أسرته، مولده، نشأته ، ثقافته، نتاجه ، جهوده وفاته .**

**الفصل الثاني: خُصصته للدراسةالموضوعية لكتاب طوق الحمامة .**

**الفصل الثالث : ناقشت من خلالهالجانب الفني لكتاب طوق الحمامة.**

---

[1] ) انظر : أدب الحب الدنيوي عند العرب عمره تسعة قرون ،خلدون الشمعة.صحيفة العرب ، نُشر في ٢١/٠٢/٢٠١٦، العدد: ١٠١٩٢، ص،١١.
http://www.alarab.co.uk/?action=reset

**هدف البحث :**

**يحاول البحث الكشف عن منهج كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي وتحليله تحليلًا نقديًا من الجانب الموضوعي والفني.**

**أهمية الدراسة :**

**تُعد الدراسة من الدراسات التي تحتاجها المكتبة العربية ؛ نظرًا لأن الأدب الأندلسي في حاجة إلى المزيد من الدراسات الأدبية ، وخاصة الجانب النثري منه .**

**منهجية البحث :**

**المنهج الوصفي والمنهج التحليلي .**

**وهذه الدراسة مهما كان فيها من جهد فإنها تمثل عبارةالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني التي كتبها في رسالته إلى العماد الاصفهانيالشهيرة :"أني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوُ غُيّرَ هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يُستحَسن ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"**

**صفحات قليلة هذي التي حاولت فيها كشف النقابعن جوانب من كتاب طوق الحمامة لأديب الأندلس ، ابن حزم. لا أقول أنني جئت بجديد ولكنها محاولة تخطئ وتصيب .**

**والله من وراء القصد والسبيل ، إنه نعم المولى والنصير .**

## تمهيد :

**هنا سؤال ؟؟**

**هل من الممكن فعلًا أن يُعرّف الحب وتُقسّم معانيه وأعراضه وأنواعه والمشاعر المتعلقة به وأن يُصنف في كتاب أو رسالة؟.أول ما ورد على ذهني من تساؤل عندما وقعت عيني على كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» للإمام « أبو محمد علي بن حزم الأندلسي »[1] أرقى الدراسات الأدبية التي**

---

[1] ) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي الولاء، الأندلسي القرطبي : العالم الفقيه، والشاعر اللبيب، صاحب المذهب الظاهري، موسوعي العلوم، أكثر علماء الإسلام تأليفًا بعد «الطبري»، من أكبر علماء الأندلس. إمام حافظ، شافعي الفقه، انتقل منه إلى الظاهرية، له ردود كثيرة على الشيعة واليهود والنصارى وعلى الصوفية والخوارج.

أصل آبائه من قرية من قرية إقليم الرواية من كورة نبلة من غرب الأندلس ، وأول من دخل من أجداده خلف .

ولد في قرطبة عام ٣٨٤هـ وقيل ٣٨٣هـ، وسمع في سنة أربعمائة وبعدها من طائفة ، ونشأ بصحبة أخيه الذي يكبره بخمس سنوات، في قصر أبيه الذي كان أحد وزراء «المنصور بن أبي عامر »، وكان أبوه يحظى بمكانة كبيرة لدى الخليفة، حتى إنه أسكنه بجواره، وكان جده «خلف بن معدان» هو أول من دخل الأندلس في صحبة ملكها «عبد الرحمن الداخل. »

ولي وزارة للمرتضى في «بلنسية»، ولما هزم وقع «ابن حزم» في الأسر وكان ذلك في أواسط سنة ٤٠٩هـ، ثم أطلق سراحه من الأسر، فعاد إلى «قرطبة»، وولي الوزارة لصديقه «عبد الرحمن المستظهر» في رمضان سنة ٤١٢هـ، ولم يبقَ في هذا المنصب =

=

أكثر من شهر ونصف، فقد قُتل المستظهر في ذي الحجة من السنة نفسها، وسجن «ابن حزم»، ثم عُفي عنه، ثُم تولى الوزارة أيام «هشام المعتد» فيما بين سنتي ٤١٨هـ ، ٤٢٢هـ.

مفكر عملاق وإمام فذ وجهبذ من جهابذة الحضارة العربية ، قال عنه الذهبي أنه : "محيط العلوم الذي لا نظير له ولا قرين ".

راجع لسيرته وترجمته :سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط/ مؤسسة الرسالة١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م ،و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، ط/ دار الثقافة ،بيروت لبنان١٩٩٧م،١/١٦٧-١٧٠.ووفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء وأخبار الحكماء ودائرة المعارف و الأعلام للزركلي .

أصّل ما يعرف عادة بـ «المذهب الظاهري»؛ وهو مذهب يرفض القياس الفقهي الذي يعتمده الفقه الإسلامي التقليدي، وينادي بوجوب وجود دليل شرعي واضح من القرآن أو من السنة لتثبيت حكم ما، وكان ينادي بالتمسك بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة ورفض ما عدا ذلك في دين الله، ولا يقبل القياس والاستحسان والمصالح المرسلة التي يعتبرها محض الظن، والكثير من الباحثين يشيرون إلى أنه كان صاحب مشروع كامل لإعادة تأسيس الفكر الإسلامي من فقه وأصول فقه.←

←كان شديدًا على خصومه، له لسان شبهه «ابن القيم» بالمنجنيق، فقد هاجم علماء وفقهاء عصره، ووصفهم بالمنتفعين، فنجحوا في تأليب «المعتضد بن عباد» أمير «إشبيلية» ضده، فأمر بمصادرة جميع بيوته، وإحراق كتبه، ونفاه إلى منشئه «منت ليشم» جنوب الأندلس، وظل فيها حتى مات عام ٤٥٦هـ.يُعد ابن حزم درة في تاريخ الأندلس السياسي والفكري والأدبي، وقد عاش حياة مليئة بالمحن والمصائب، قضاها مناضلًا بفكره وقلمه، أكثر من أربعين عامًا، ولكن فقهاء عصره حنقوا عليه وألبوا

=

**كُتبت عن الحب ، والحق أَنه من أولكتب التراثالتي تطرقت إلـــى بحـــث هـــذا الموضوع من جميع خصائصه الجسدية والنفسية والتأملية والصدى الحـــادث بين المحب والمحبوب[1].**

**و هنا يطرح البحث عدة أسئلة :**

**الأول : هل يُعد كتاب طوق الحمامة أول مؤلف موضوعه الحب ؟**

**الثاني : هل تأثر ابن حزم بكتابات السابقين في هذا الموضوع ؟**

**الثالث : إلى أي مدى كان هذا التأثير ؟**

**بالرجوع إلى كتب التراث العربي وجدت العديد من المؤلفات التي تحدثت عن الحب من أشهرها :**

- **رسالة العشق والنساء للجاحظ المتوفى سنة٢٥٥هـــ .**

---

=

ضده الحاكم والعامة، إلى أن أُحرقت مؤلفاته ومزقت علانية بإشبيلية. توفي بقرية منت ليشم من بلاد الأندلس.نقلًا عن الموسوعة العربية العالمية.

انظر ترجمة ابن حزم وأعماله، جذوة المقتبس: ٢٩٠، وبغية الملتمس رقم: ١٢٠٤، والصلة: ٣٩٥، وطبقات الأمم: ٨٦، والذخيرة ١/ ١: ١٤٠، ومطمح الأنفس: ٥٥، والمغرب في حلى المغرب ١: ٣٥٤، والمعجب: ٣٠، وتاريخ الحكماء للقفطي: ١٥٦، وتذكرة الحفاظ ٣: ٢٤١:، ومسالك الأبصار (الجزء الثامن)، وفي طوق الحمامة معلومات عنه، وكذلك في سائر كتبه ورسائله.http://www.mawsoah.net

[1] ) انظر مجلة الرياض الجمعة ١٨جمادى الأولى ١٤٢٩هـــ - ٢٣مايو ٢٠٠٨م - العدد ١٤٥٧٨ مقال " كتاب طوق الحمامة لابن حزم في طبعتين مختلفتين " خالد بن أحمد السليمان .

- كتاب الزهرة لابن داود الأصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧هـ .
- الطب الروحاني لأبي بكر الرازي المتوفى سنة٣٢٠هـ .
- اعتلال القلوب لأبي بكر الخرائطي المتوفى سنة٣٢٥ هـ .
- إخوان الصفا ولهم رسالة في ماهية العشق .
- الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي المتوفى سنة٣٧٥ هـ .
- رسالة العشق لابن سينا المتوفى سنة٤٢٥هـ . [١]

فقد سبقت هذه المؤلفات طوق الحمامة في الحديث عن الحب وماهيته .

ولعل ابن حزم تأثر بهذه المؤلفات ، بشكل أو بآخر ؛لأن الأدب بطبيعته قائم على التأثر والتأثير ، فظاهرة التقليد للمشرق واضحة جلية؛ وذلك لأن الثقافة العربية المشرقية انتقلت للأندلس من خلال وسائل كثيرة منها :

أولًا : أن يُدعي قوم من المشرق إلى الأندلس فيملأوها أدبًا ولغةً، كما فعل أبو على القالي، فقد كان مشرقيًا، ورحل إلى الأندلس بدعوة من أميرها، وكان قد تثقف ثقافة واسعة في المشرق، وأخذ كثيرًا عن شيوخه وخاصة ابن دريد، وكان الشرقيون قد قطعوا شوطًا كبيرًا بعيدًا في جمع اللغة، وجمع الأشعار، وأخذوا ينتقون منها المختارات المختلفة، كما فعل الأصمعي، والمفضل الضبي، فحوى ذلك كله أبو على القالي، وسافر بعلمه إلى الأندلس، وكان رجلًا عالمًا وقورًا، حافظًا، فنشر ما شاء الله أن ينشر في الأندلس، ويُعد من أول من وضع أساس الثقافة المشرقية في الأندلس واللغة والأدب.

---

[١] ) راجع : بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أنموذجًا ، دانا عبد اللطيف سليم حمودة ، إشراف الدكتور محمد خليل الخلايلة ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، قسم اللغة العربية وآدابها ،٢٠١١-٢٠١٢م، ٣٠.

ثم نشأت طائفة من أهل الأندلس نفسها تؤلف كما ألف، كابن عبد ربه المالقي في العقد،فقد اختار زبدة أدب المشرقيين، واعتمد على كتبهم وخصوصًا كتاب ابن قتيبة المسمى « عيون الأخبار » وبّوبه تبويبًا أشبه بتبويبه، إلا أنه سمى كل باب بنوع من الأحجار الكريمة وجعله كالقلادة، وكان قصده أن ينقل إلى الأندلسيين أدب المشارقة، وقد قال الصاحب بن عباد لما قرأه : « إن بضاعتنا ردت إلينا » ؛لأنه رأى فيه علوم المشرق التي يعرفها.[1]]

ثانيًا : أما الوسيلة الثانية : فقد رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق، ونـدبوا أنفسهم لتحصيل علم من علومه والتبّحر فيه، ثم الرجوع إلى الأندلس، لنشر ذلك العلم بين أهله، ومن خير الأمثلة على ذلك : يحيى بن يحيى الليثي، فقد رحل إلى المدينة، وتتلمذ للإمام مالك، وأخذ عنه الموطأ، ولازمه، وخدمه كما سافر إلى مصر، وأخذ من الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، وكان يحيى معروفًا بالأمانة والدين، معظّمًا عند الأمراء، متعففًا عن الولايات، ثم نشر علمه في الأندلس، ومع تعففه عن القضاء، أسند إليه اختيار القضاة، فكان يختار من كان على مذهب مالك...

ومثل ذلك كثير، ومنهم من رحل لتعلم الفقه، ومنهم من تعلم النحو، والصرف، والتفسير والحديث والقراءات إلخ، ويجد القارئ في كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ثبتًا طويلًا بأسماء من رحلوا من الأندلس إلى الشرق للتزود بالعلم – وبلغ من إقبالهم على ذلك أن كان الشخص يُعاب بأنه لم يرحل إلى الشرق.

---

[1] ) راجع : ظهر الإسلام / أحمد أمين ، الجزء الثالث ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م. و صبح الأعشى في صناعة الإنشا أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي،الناشر: دار الكتب المصرية،ط/ ١٣٤٠ هـ – ١٩٢٢م .

ومن هؤلاء جميعًا ظهرت بعد ذلك طبقة من الأندلسيين أنفسهم يتقنون العلم ويحملون عبء نشره، حتى نرى فيهم مثل ابن القوطية، وكنيته تدل على أنه قوطّي الأصل، وقد نبغ في اللغة حتى فاق كثيرًا من المشرقيين وألف كتاب « الأفعال » وغيره من الكتب التي تدل على علمه وفضله وأمثاله كثيرون في كل فرع من فروع العلم.

وكما يقول ابن بسام : « إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على صنما ، وتلوا ذلك كتابًا محكمًا .....»[١]؛ لذا لا يستغرب اطلاع ابن حزم على كتب السابقين ومؤلفاتهم واستفادته من المؤلفات السابقة ولكن نؤمن بتميزه وتفرده في أسلوب تأليفه لكتاب طوق الحمامة .

وبعضهم يرون أن ابن حزم تأثر بكتاب الزهرة للأصفهاني ، ت٢٧٠هـ ، وهو كتاب مقسم لمئة باب ، كل باب يتضمن مئة بيت من الشعر ، ويذكر في خمسين بابًا منها جهات الهوى وأحكامه ، وتصاريفه وأحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر .

وحجتهم على ذلك تشابه المقدمة للكتابين ، فإذا نظر نظرة سريعة في كتاب الزهرة ، وجدنا المؤلف ألف كتابه ، بناء على طلب تقدم به أحد أصدقائه في رسالة بعث بها إليه .إذ يقول : " وقد عزمت لما رأيت بك من غلبات الاشتياق،

---

[١] )الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق : إحسان عباس،الطبعة : ١

تاريخ النشر : ١٩٧٩م الناشر : الدار العربية للكتاب عنوان الناشر : ليبيا – تونس ج/١٣٠١.

**ومن ميلك إلى تعرف أحوال العشاق أن أوجه إليك نديمًا يشاهد بك أحوال المتقدمين ويحضرك أخبار الغائبين ، وينشط بنشاطك ويمل بمللك ، إن أدنيته دنا ، وإن أقصيته نأى [١]**

**كذلك ألف ابن حزم كتابه بناء على رغبة صديقه ، فيقول : " وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيدًا ولا مفننًا .[٢]**

**ومن هنا يعتقد بعض الدارسين والنقاد من تشابه سبب التأليف أن ابن حزم متأثر بالأصبهاني في كتابه الزهرة ؛ ولكن يبق لابن حزم أسلوبه وطريقته وشخصيته الواضحة في كتابه طوق الحمامة .**

**فالحب حالة فريدة دقت معانيها عن أن توصف بالكلمات.. الحب حقيقة لا ندركها إلا عندما نشعر بألم المعاناة في تحقيق الوصال مع من نحب.. الحب اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة..فكلمة «الحُب» تحمل ما تحمل من أسرار، وتجلب ما تجلب من أفراح وأتراح، فما أن يُصاب الإنسان بالحب، إلا وتتغير حاله، وتتبدل شئونه؛ فالحب يفعل ما يفعل في الإنسان لما له من أسرار وأعراض، الحب استسلام لا إرادي للمحبوب فالأرواح المتماثلة تتصل وتتواءم.. الحب وفاء يتحول إلي عهد بين المحبين عندما يتمكن منهم الحب الصادق الحقيقي.. الحب حقيقة لا فناء لها حتي بالموت. وللمحبة أشكال وضروب, فمنها محبة القرابة, ومحبة الألفة, ومحبة المصاحبة, ومحبة البر, ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه لستره, ومحبة بلوغ اللذة, ومحبة العشق.**

---

[١] ) الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ط/ مكتبة المنار الأردن – الزرقاء، ط/ الثانية ، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٥م ، ٤٠ .

[٢] ) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، الإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي ، ط/ مكتبة عرفة بدمشق ، ٢.

وللحبأصول وأعراض وآفات وصفات محمودة ومذمومة وأرقي أنـــواع الحـــب المحبة في الله لأنها متجردة من الدوافع الحسية.[١] هذا بعض مما خطهالإمام « أبو محمد علي بن حزم الأندلسي » وغاص في رائعته « طوق الحمامـــة فـــي الألفة والألاف » في بحار هذا السر الذي خُلِق مع الإنسان، فيُخرج لنا أصوله، ويُعرفنا على أعراضه ونواحيه، وصفاته المحمودة والمذمومة، وكذلك الآفـــات التي تدخل على الحب وتلازمه، مُوردًا بين ثنايا كتابه بعـــض القصـــص التـــي عاينها بنفسه عن الحب وأبطاله، ثم ختم رسالته الغنية هذه بأفضل ختام؛ وهو: قبح المعصية، وفضل التعفف؛ ليكون قد أحاط بالحب من كل جوانبه.[٢]

فاستعرض ابن حزم الهبات السحرية للحب وقدرته علي سبر طبـــائع البشـــر وأغوارهم فكما قال الإمام الشافعي :[٣]

| | |
|---|---|
| إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ | لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ |

وقد اكتسب الكتاب شهرة واسعة وترجم إلى عدة لغات في المشرق والمغـــرب، ما جعل منه لسان الحب في كل العصور.[٤]

---

[١] ) مقال "طوق الحمامة لسان حال المحبين في كل العصور"سارة عبدالعليم، صحيفة الأهرام الجمعة ٢٥ من محرم ١٤٣٥ هـــ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٣ م ، السنة ١٣٨ – العدد ٤٦٣٧٩. http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٢٤٥٠٢٩.aspx ..

[٢] ) www.hindawi.org/books/٩٧٠٨٦١٧٩

[٣] )http://www.adab.com/الموسوعة العالمية للشعر العربي .

[٤])www.albayanNews

# الفصل الأول :

# التعريف بكتاب طوق الحمامة ومؤلفه

كتاب طوق الحمامة أو طوق الحمامة في الألفة والألاف كتاب له شهرة عالية ومكانة تاريخية وأدبية ، وصف بأنه أدق ما كتب العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه. تُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات العالمية.

واسم الكتاب كاملًا "طوق الحمامة في الألفة والأُلاف" . ويحتوي الكتاب على مجموعة من أخبار وأشعار وقصص المحبين، ويتناول الكتاب بالبحث والدِّرس عاطفة الحب الإنسانية على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة. فيعالج ابن حزم في أسلوب قصصي هذه العاطفة من منظور إنساني تحليلي. والكتاب يُعد عملًا فريدًا في بابه.

يكشف الفصل عن طبيعة العلاقة بين ابن حزم وعصره وبيئته وظروف نشأته ومؤلفه، ولست أرى من الضروري أن ألخص حياة ابن حزم بدراسة شاملة في مقدمة هذه البحث، فقد كَتبت عنه كُتب ودراسات كثيرة في لغات مختلفة، تجد أسماءها في ثبت المصادر والمراجع.

وهذا ما تصورته في البَدء؛ لكن مع اطلاعي على الكتاب وجدتني مشدودة للتعريف والتعرف بالكتاب والكاتب ؛لأن حياته شاهدة على عصرهوكلاهما علامات مضيئة ، تعينني على فهم الطوق ؛ " كمصدر تأريخ الحياة الأدبية في قرطبة ،إلى جانب ما يقدم من معلومات أخرى ضافية اجتماعية وسياسية ، والمرأة في قرطبة من خلاله ، ولحياة مؤلفه نفسها .." [١]

[١] ) دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ، ط. مكتبة وهبة ، ط/٢، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧هـ ،١٠.

**بداية الكتاب** :

**"بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين... قال أبو محمد عفا الله عنه: أفضل ما أبتدئ به حمد الله عز وجل بما هو أهله، ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع أنبيائه عامة، وبعد.[1]]**

**نهاية الكتاب :**

**...كملت الرسالة المعروفة بطوق الحمامة لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم رضي الله عنه بعد ...أكثر أشعارها وإبقاء العيون منها تحسينًا لها وإظهارًا لمحاسنها وتصغيرًا لحجمها وتسهيلًا لوجدان المعاني الغريبة من لفظها بحمد الله تعالي وعونه وحسن توفيقه وفُرغ من نسخها مستهل رجب الفرد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، والحمد لله رب العالمين[2] ]**

**عصر الكتاب** :

**يُعد كتاب طوق الحمامة أحد أعظم كتب التراث العربي والإسلامي، كيف لا وقد كان في أهم عصور نهضة الفكر والثقافة والفنون للمسلمين.**

**ألفه صاحبه في سكناه بشاطبة عام ٤١٨أو٤١٩هـ[3]] وقد قدر لابن حزم أن يشهد غروب شمس الخلافة ، وأن يشهد مع غروبها ألوانًا من الانهيار**

---

[1] ) المرجع السابق،٢.وطوق الحمامة ،١.

[2] ) المرجع السابق ١٥٣.

[3] )أي في عصر الدويلات وملوك الطوائف ففي عام ٤٠٠ هـ تمزقت الأندلس وقامت كل طائفة أو عائلة بارزة بإعلان الاستقلال في مدينة من المدن وما يحيط به، فتمزقت الأندلس إلى ٢٢ دويلة مستغلين ضعف الأمويين وصراعهم، وبدأت فترة حالكة في تاريخ الأندلس.

السياسي والخلقي ، ومن المظالم والجور ، ما لامثيل له وأن يعيش سنوات حملت من الخيانة ، والهوان ، والأحزان والأدران ، فوق ما حملته حياة المصريين قبل ومع هزيمة ٥ يونية من عام ١٩٦٧م, ولا يمكن فهم إبداعه وما ينضح به من مرارة ، ولا أسلوبه وما تصف به من حدة ، ولا مرمى فلسفته واتجاه أبحاثه ، ولا مثله العليا وطباعه ومزاجه ، إلا إذا أدركنا حقيقة تلك الأيام ، وكانت أقسى مما خط أي مؤرخ ، وأشد هولًا من تصوير أي خيال ، وهي أحداث دخلت التاريخ تحت اسم : فتنة البربر أو البرابر ' وشغلت الربع الأول من القرن الحادي عشر الميلادي .[١]

**طبعات الكتاب**:

يشير الدكتور الطاهر أحمد مكي أنه في نهاية النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، قام السفير الهولندي المستشرق "فون وارنر" بدراسة المخطوطات العربية خلال فترة انتدابه سفيرًا في الأستانة من سنة ١٦٤٤ م إلى ١٦٦٥ م،..

- وفي ذلك الوقت توفي حاجي خليفة الذي كان يملك واحدة من أكبر مكتبات الأستانة، فاشترى " فون وارنر" الكثير من المخطوطات ممن آل إليهم أمر مكتبة حاجي خليفة فكان من بين هذه المخطوطات مخطوط «طوق الحمامة»، الذي قُدر له أن يستقر في مكتبة ليدن بهولندا، لمدة ١٧٥ عامًا، إلى أن جاء مطلع القرن التاسع عشر، حيث قام المستشرق

[١] ) راجع : دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ،١٠٣.

الهولندي "رينهارت" بإصدار أول طبعة لفهرس المخطوطات العربية في جامعة ليدن، عرف العالم من خلالها مخطوطة «طوق الحمامة».

ودام الحال إلى أن قام المستشرق الروسي د. ك. بتروف[1] بنشر النص العربي لطوق الحمامة كاملًا، في سلسلة كتب كانت تصدرها كلية الآداب في جامعة بطرسبرج. وطبع في مطبعة «بريل» العربية في ليدن عام١٩١٤ م. وبعد سبعة عشر عامًا قام السيد محمد ياسين عرفة، صاحب مكتبة عرفة في دمشق، بطبع النص العربي ثانية عام ١٩٣٠م..

ولم يجر تغييرًا كبيرًا عن نسخة بتروف، إلى أن صدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٤٩ م على يد المستشرق الفرنسي ليون برشيه في الجزائر، وبعدها بعام، أي عام ١٩٥٠م قام الأستاذ حسن كامل الصيرفي بطباعة النسخة الرابعة للكتاب في القاهرة؛ لكن هذه الطبعة جاءت أسوأ مما صدر من طبعات، لجهل الصيرفي بتاريخ الأندلس وحضارتها.[2]]

وطبع أيضًا ضمنالمجموعة الأولى من رسائل الفقيه الظاهري الكبير الإمام أبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، وهي تضم أربع رسائل: هي طوق الحمامة في الألفة والألأف، ورسالة في مداواة النفوس، ورسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور؟ ورسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. وتمثل الرسالة الأولى رأي ابن حزم في الحب وأحواله وبواعثه، وقد نالت من الشهرة العالمية ما جعلها تترجم إلى عدة لغات، وتصبح موضوع دراسات متعددة،

---

[1] ) مستشرق روسي.

[2] ) انظر : مقال "طوق الحمامة.. لسان الحب في كل العصور" http://www.albayan.ae/books/eternal-books/

وهي بحق أثر بالغ القيمة وستظل دائمًا موضع درس وتفسير. وتكملها الرسالة الثانية فهي عصارة تجارب ابن حزم في الحياة، وفي شؤون الناس ومحاولة لإيجاد فلسفة ذاتية من خلال تلك التجارب. وتمثل الرسالة الثالثة قبول ابن حزم الكلي بالغناء الملهي، وتضعيفه الأحاديث التي رويت في النهي عنه، ولهذا الموضوع مؤيدون ومعارضون على مر الزمن. وأما الرسالة الأخيرة فهي خفقة فكرية جميلة تقوم على الحوار الذاتي، فالرسائل الأربع في مجموعها ترتبط بموقف واحد[١].

ومنذ أن أصدر المستشرق بتروف طبعة من كتاب طوق الحمامة (١٩١٤م) اعتمادًا على النسخة الوحيدة منها المحفوظة في ليدن بهولندة، توالت الأيدي على طبع هذه الرسالة في الشرق وعلى ترجمتها في الغرب؛ ولابد أن تكون لهذه الرسالة أهمية خاصة حتى تنال كل ما نالته من عناية حتى اليوم.

وقد كانت معظم الطبعات التي صدرت في المشرق العربي عالة على طبعة بتروف، وهي طبعة أمينة للأصل المخطوط؛ ولكن هناك مواطن كثيرة فيها يعسر فهمها، وأكبر الظن أن ذلك يعود إلى تصحيف أو تحريف في القراءة.

و يقول إحسان عباس : " كنت أعجب دائمًا كيف صدرت تلك الترجمات لطوق الحمامة من قبل أن يستقيم فيها النص ويصبح مفهومًا دون حاجة إلى تأول متعسف. وقد كان أجرأ من حاول الخروج عن قراءة بتروف هو ليون برشيه، الذي طوق الحمامة مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩ م)، ولكن برشه، رغم

[١] )رسائل ابن حزم الأندلسيلابن حزم تحقيق : إحسان عباسالناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ،ط /١ ، ١٩٨٠م، ١/١.

**التوفيق الذي واكبه في بعض القراءات، أسرف أحياناً في البعد عن الأصل المخطوط، طلبا لصحة المعنى واستقامته.[1]]**

**ومن الطبعات العربية من طوق الحمامة:**

**١ – طوق الحمامة تحقيق د. ك. بتروف (مع مقدمة بالفرنسية) ليدن ١٩١٤ م.**

**٢ – طوق الحمامة، ط. دمشق، ١٣٤٩هـ –١٩٣٠م.**

**٣ – طوق الحمامة (نص وترجمة فرنسية) لليون برشيه، الجزائر، ١٩٤٩ م.**

**٤ – طوق الحمامة، ط. القاهرة (طبعة شعبية) ،١٩٥٠م.**

**٥ – طوق الحمامة، تحقيق حسن كامل الصيرفي ومقدمة لإبراهيم الابياري، القاهرة ،١٩٥٠م.**

**٦ – طوق الحمامة، تحقيق فاروق سعد، دار الحياة، بيروت، ١٩٦٨م.**

**٧ – طوق الحمامة، تحقيق الدكتور الطاهر مكي، القاهرة ١٩٧٧ م.**

**٨ – طوق الحمامة، ط. مؤسسة ناصر الثقافية ببيروت، ١٩٧٨م (طبعة شعبية).**

**٩ – طوق الحمامة، تحقيق الدكتور إحسان عباس (في المجموعة الأولى من رسائل ابن حزم، ط. المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨٠م).**

**– ترجمات طوق الحمامة:**

**" الإنجليزية والروسية والألمانية والإيطالية والفرنسية والإسبانية "**

---

[1] ) رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم، تحقيق إحسان عباس ،١/ ١٩.

١ – Abook Containing the Risala Known as the Dow " s composed by Abu ،about Love and Lovers ،Neck – Ring trans. By A. R. ،Muhammad Ali ibn Hazm al – Andalusi Nykl، Paris، Geuthner، ١٩٣١.

٢ – A. Salie. (ترجمة روسية)، Leningrad، ١٩٣٣.

٣ – Halsband Der Taube Uber die Liebenden، von Max Weisweiler، Leiden، ١٩٤٤.

٤ – Il Collare della Colomba، versione dall " arabo di Francesco Gabrieli، Bari، ١٩٤٩.

٥ – Le Collier du Pigeon، Par Leon Bercher، Alger، ١٩٤٩.

٦ – El Collar de la Paloma، Traducido del Arabe por Emilio Garcia Gomez. Madrid ١٩٥٢ (٢ a edicion ١٩٦٧).

دراسات عن طوق الحمامة باللغة العربية:

١ – طوق الحمامة لابن حزم، دراسة ليوسف الشاروني (في كتاب دراسات في الحب، – كتاب الهلال ١٩٦٦ م) ص ٤٣ – ٧١ . وانظر مجلة المجلة العدد ١٠٢ (ص ٧٦ – ٨٥) القاهرة.

٢ – ابن حزم وكتابه طوق الحمامة للدكتور الطاهر مكي (فيه فصول متعددة عن طوق الحمامة) الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٧ م.

٣ – تأثير طوق الحمامة في الأدب العالمي للدكتور الطاهر مكي (مجلة آفاق عربية، العدد الأول ١٩٧٦ م، بغداد).

٤ – طوق الحمامة لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (بحث نشر في مجلة العرب، السنة الثالثة ص ٢٢٧، ٧١٣).

٥ – في الحب والحب العذري للدكتور صادق جلال العظم، بيـــروت ١٩٦٨ م (ليس خاصًا بكتاب الطوق، ولكنه يعتمد عليه).

٦ – ابن حزم الفقيه الذي عالج الحب في رسالته الشهيرة " طوق الحمامـــة " لمحمد أبو زهرة، مجلة العربي، أغسطس (١٩٦٣م) العدد: ٥٧.

٧ – مقارنة بين طوق الحمامة وكتاب المصون في سر الهوى المكنون لأبـــي إسحاق الحصري للدكتور محمد بن سعد الشويعر (مجلة الفيصل، السنة الأولى، عدد ١٠) ص: ١٦ – ٢١.

– دراسات عن طوق الحمامة باللغات الأجنبية:

Leon Bercher؛ "A propos du texte du "Tawq al – Hamama" d "Ibn Hazm، Melange W. Marcais، ١٩٥٠، ٣٦ – ٢٩ .pp.

– Ibn Hazm et Son "Tawg al – Hamama"، Bulletin des etudes arabes، ٧، ٦ – ٣ pp. (١٩٤٧).

Cauq al – Hamama، Islamica ٥، ٤٧٤ – ٤٧٤ .pp (١٩٣٢).

E Garcia Gomez: "El Collar de la Paloma" y la medicina occidental، Homenaje a Millas – Vallicrosa I، ١٩٥٤، pp. ٧٠٦ – ٧٠١.

– "Una nota al Capitulo XXX del "Collar de la Paloma"، Andalus، ١٨، ٢١٧ – ٢١٥ .pp (١٩٥٣).

Collar de la " Un Precedente y une consecuencia del –
.Anda lus ١٦ (١٩٥١) pp. ٣٠٩ – ٣٣٠ " Paloma

، " Diwan al – Sababa " de Ibn Hazm y el " Tawq " El –
. ((١٩٤١) pp. ٦٥ – ٧٢ ،Andalus، ١)

" Collier de la Colombe "E. Levi – Provencal: En relisant le
، Andalus، ٣٧٥ – ٣٣٥ .pp (١٩٥٠) ١٥.

Tawq al – "W. Marcais: Observations Sur le texte du
pp. ٥٩ – ،١٩٢٨ ،Mem. H. Basset II ،IbnHazm " d " Hamama
.٨٨

J. Lomba Fuentes: La beaute objestive chez Ibn Hazm
١٦١ ،٧(١٩٦٤) pp ١ – ١٨ ،cahiers de civilisation medievale
١٧٨ –.[١]

[١] ) راجع : رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم تحقيق : إحسان عباس/١-٢٠-٢٢.

**اسم الكتاب** :

**يأتي عنوان الكتاب «طوق الحمامة» منكفئًا على الشعرية والغموض، فهوعنوان شعري خالص، يفتح أبوابًا للتأويل والتحليق، لما يملكه من طاقة إيحائية لا تنكر.**

**وبغض النظر عن دلالة الحمامة التي طالما كانت رسول المحبين، وطالما مثلت الكائن البريء الرقيق الذي غالبًا ما تُسقَط عليه مشاعر التعاطف والفهم والتعزي، وبغض النظر أيضًا عن دلالة الطوق بما هو سمة جمالية، وحصار من الألفة والاحتواء فإن بقية العنوان أو فرعه في الأُلْفة والأُلاّف، فيميل غالبًا إلى الوضوح والتحديد، ويشير إلى معالجة الكتاب لعلائق وصلات قد تكون أعم من الحب ودرجاته.[١]]**

**وإن في هذا الاسم " طوق الحمامة " من الخيال والشعر والخلابة والحسن والنعومة والطراوة ما يشعرك بأن الأندلسيين قد بلغوا من التأنق و التنطع في انتقاء الألفاظ واستخدامها والتصرف بها في وجوه التسمية حدًا كادوا أن يبروا به على من تحدوهم وجروا على آثارهم من البغاددة والمشارقة وسيمر بك مما يدل على حذق الأندلسيين هذا الشيء الكثير أمثال : صبح ، وعزلان، وخلوة ، ودعجاء ، وطروب .....[٢]]**

**وفي أصل تسمية الكتاب آراءٌ واجتهادات أبرزها أن يكون الاسم مبنيًا على فكرة الديمومة والثبات؛ كقول العرب: " أبقى من طوق الحمام". أو أنه يحمل دليلًا على معاني الزينة والحلية واستلهام الجمال الذي هو مثار الحب. أو –**

---

[١] )http://www.albayan.ae( /

[٢] )انظر : طوق الحمامة ، ق.

بكلِّ بساطةٍ ممكنة – أن الحمامة هي رسول الحب والهوى، والطوق حليتها وزينتها، أو الأمانة المعقودة في عنقها لحملها من العاشق إلى المحبوب.[١]]

وقد سمى ابن حزم رسالته " طوق الحمامة " فلماذا اختار هذا الاسم يقول الثعالبي: " طوق الحمامة يضرب مثلًا لما يلزم ولا يبرح ويقيم ويستديم] " ، ترى هل هذا هو المعنى الذي أراده ابن حزم حين اختار هذه التسمية دعني أقرر أنها فريدة، بادئ ذي بدء، ولكن من درس أحوال الحب في الكتاب يجد أن معنى " الدوام " ليس من الأمور التي تلازم الحب، لا من حيث النظرية ولا من حيث التجربة، غير أنهذا لا ينفي أن الطوق للحماسة زينة منحتها بدعاء نوح، حين أرسلها لتستكشف المدى الذي سترسو عنده سفينته، فطوق الحمامة هنا كناية عن استلهام الجمال الذي هو مثار الحب أعني جمال الطوق ؛لأنه حلية متميزة عن سائر لون الحمامة. يقول إحسان عباس في تحقيق كتابه : رسائل ابن حزم الأندلسي "ولست أستطيع هنا أن أتحدث عنالحمائم التي تقود مركبة فينوس – ربة الحب – في الأساطير الرومانية، فربما كان التوجه إلى هذا المعنى إيغالًا في التصور، ونقلًا من حضارة إلى حضارة أخرى، ولست كذلك أتوجه إلى أفانين الحب التي يمارسها الحمام، والتي يرى الجاحظ – أو من نقل عنه – أنها هي عين الممارسات التي توجد لدى الإنسان[٢]] ، كأنما هي صورة

---

[١] ) مقال :" أصل الحب في كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألّافديانا نصار " http://inkitab.me ٠٣-٠٥-٢٠١٥م.

٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ المكتبة العصرية- بيروت ، القاهرة ١٤٢٤ – ٢٠٠٣ م. ٤٦٥.

[٢] ) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ،١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م./٣/٦٣.

طبق الأصل من شتى المواقف من إخلاص وغيرة وشذوذ وتضحية وما إلى ذلك من فنون، ولكني حين أجدني أصل إلى الحيرة في سر هذه التسمية، أتوقف عند

" الجمال " " والتميز " ، وكأني بابن حزم يقول: هذا كتاب يتحدث عن العلاقة السرية بين الجمال والحب أو هذا الكتاب بين الكتب كطوق الحمامة بالنسبة للحمامة؛ وعند هذا الحد أجد الثعالبي يقول :إن الحمامة إنما أعطيت طوقها " من حسن الدلالة والطاعة " ، فأضيف إلى الجمال والتميز عنصر " الطاعة " وهو عنصر هام في مفهوم الحب.[1] ومما لاريب فيه أن عمل ابن حزم في تأليفه هذا مما هو عمل القلب الجريح للكبد المصدوعة والروح المتألمة للأرواح البائسة تجد فيه النفوس من المتعة والسلوة ما لا يجده المتيم المهجور في النديم المساعد المخلص على الراح[2]]

**دلالة العنوان** :

الطوق لغة : "الطَّوْقُ : حَلْيٌ يجعل في العنق .

وكل شيء استدار فهو طَوْقٌ كطَوْق الرَّحى الذي يُدِير القُطْب ونحو ذلك .

والطَّوْقُ : واحدُ الأَطْواق ، وقد طَوَّقْتُه فتَطَوَّقَ أَي أَلبسته الطَّوْقَ فلَبِسه ،

وقيل : الطَّوْقُ ما استدار بالشيء ، والجمع أَطْواقٌ .

والمُطَوَّقَةُ : الحمامةُ التي في عنقها طَوْقٌ .

والمُطَوَّقُ من الحمام : ما كان له طَوْقٌ .

وطَوَّقَه بالسيف وغيره وطَوَّقه إِيّاه : جعله له طَوْقًا .

---

[1]) رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم تحقيق : إحسان عباس ١-٣٧.

[2] ) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، الإمام محمد أبي علي حزم الأندلسي ، ط/ مكتبة عرفة بدمشق ، محمد ياسين عرفه ،ق.

وفي التنزيل : سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[١]..

"الطَّوْقُ : حَلْيٌ يجعل في العنق .

وكل شيء استدار فهو طَوْقٌ كطَوْق الرَّحى الذي يُدِير القُطْب ونحو ذلك .

والطَّوْقُ : واحدُ الأَطْواق ، وقد طَوَّقْتُه فتَطَوَّقَ أَي أَلبسته الطَّوْقَ فلَبِسه ، وقيل :الطَّوْقُ ما استدار بالشيء ، والجمع أَطْواقٌ .

والمُطَوَّقَةُ : الحمامةُ التي في عنقها طَوْقٌ .

والمُطَوَّقُ من الحمام : ما كان له طَوْقٌ .

وطَوَّقَه بالسيف وغيره وطَوَّقه إِيّاه : جعله له طَوْقًا .

وفي التنزيل : سَيُطَوَّقُون ما بَخِلوا به يوم القيامة ؛ يعني مانع الزكاة يُطَوَّقُ ما بخل به من حق الفقراء من النار يوم القيامة.[٢]

- **سبب تأليف الكتاب** :

ألف ابن حزم الظاهري الأندلسي رسالته طوق الحمامة في الألف والآلاف استجابة لسؤال صديق عزيز عليه من منطقة المرية، كان قد طلب منه أن يصنف له رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأغراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة، واستجابة لهذا الصديق دون رسالته التي بين أيدينا ملتزمًا فيها جانب الحقيقة في دراسته للحب وأغراضه وصفاته ومستفيدًا من تجربته الشخصية ومن تجارب الآخرين في هذا المجال، وأغلب الظن أن عمر ابن حزم عند تأليفه رسالة "طوق الحمامة" كان عمره ٣٤ سنة.

---

[١] ) سورة آل عمران: آية ١٨٠ .

[٢] )لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)ط/ دار صادر – بيروت/ الثالثة – ١٤١٤ هـ .

**يقول في بداية الكتاب "وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيدًا ولا مفتنًا، لكن موردًا لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره، فبادرت إلى مرغوبك ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من الفقر، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غدًا. وإن كان القاضي حمام بن أحمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجمعوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عونًا لها على الحق. ومن بعض أقوال الصالحين من السلف المرضي. من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقوى. وفي بعض الأثر: أريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد".[1]]**

**- وقد أثبت الكتاب أن في أدباءنا من أوتي ملكة التحليل النفسي ، ومن استطاع أن يفهم الحب قبل عشرة قرون كما يفهمه الأدباء اليوم [2]].**

**- وهنا سؤال لماذا عرج ابن حزم عن تصوير الحب للكلام عن قبح المعصية وفضل التعفف ؟قال المصنف رحمه الله تعالى: وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم، ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطبة، فيواقعون المعصية في حبهم.**

---

[1] ) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، الإمام محمد أبي علي حزم الأندلسي ، ط/ مكتبة عرفة بدمشق، ٢.

[2] ) المرجع السابق .

- وقد علمنا أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين: إحداهما لا تشير إلا بخير ولا تحض إلا على حسن، ولا يتصور فيها إلا كل أمر مرضي، وهي العقل، وقائده العدل؛ والثانية ضد لها، لا تشير إلا إلى الشهوات، ولا تقود إلا إلى الردى، وهي النفس، وقائدها الشهوة، والله تعالى يقول:" إن النفس لأمارة بالسوء "[١] وكنى بالقلب عن العقل فقال:( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد )[٢] فهما طبيعتان تتجاذبان النفس البشرية يتقابلان ويتنازعان .

يُعد هذا الكتاب واحدًا من أشهر الكتب التي تناولت موضوع الحب عبر التاريخ. بل إن صح القول : " أنه أول كتاب أخرج للناس في الحب فهو على كثرة ما ألف بعده في موضوعه لا يزال ينفرد بمحاسن ويعصم بخصائص تقضي له بالمكانة العليا بين هذه الكتب " [٣] وقد اكتسب شهرةً واسعة وتُرجم إلى عدة لغات في المشرق والمغرب. ألَّفه ابن حزم الأندلسي – أحد أشهر علماء وفقهاء عصره في الأندلس – قبل حوالي ألف عام نزولًا عند رغبة صديقٍ محب طلب منه أن يصنف له " رسالةً في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة". وهذا يدفع إلى أذهاننا التساؤل الأول: هل من الممكن فعلًا أن يُعرّف الحب وتُقسّم معانيه وأعراضه وأنواعه والمشاعر المتعلقة به وأن يصنف في كتابٍ أو رسالة؟.

---

[١] ) سورة يوسف : آية ٥٣

[٢] )سورة ق: آية: ٣٧ .

[٣] ) راجع طوق الحمامة ،ص ،ق .

لا يُعد هذا السبب الوحيد الذي يدفع فيلسوفًا ومبدعًا كابن حزم؛ لأن يقوم بذلك فحسب ، بل هو العبقرية والإبداع فيه ،مع ما هيئه له الجو الحضاري والغنى المعرفي.

بالرغم من غرابة الفكرة فقد انتهج ابن حزم منهجًا علميًا بحثيًا في تقسيم الرسالة؛ حيث عمد إلى تقسيمها إلى ثلاثين بابًا: عشرةٍ في أصول الحب، واثني عشر بابًا في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة، وستةٍ في الآفات الداخلة على الحب، واختتمها ببابين تحدث فيهما عن قبح المعصية وفضل التعفف.

ولن أتوغل كما قلت سابقًا في دراسة حياته وعصره فقد كفاني العديد من الدراسات والأبحاث هذه المؤنة سبق ذكرها .

**المؤلف**:

لا أحد يختار اللحظة التي يولد فيها !!

وقد قدر لابن حزم أن يجئ إلى الحياة في أشد لحظات الأندلس قساوة ومأساة وحسما ، شهد شمس الخلافة تنحدر نحو المغيب ، وقاوم ما استطاع لكي يبقى عليها ، ورآها تتناثر مزعًا ، وتقوم على أنقاضها دويلات صغيرة ، يحكمها أمراء صغار ، سوف يدخلون التاريخ تحت اسم : " ملوك الطوائف " وعاصر فوضى هؤلاء الملوك وصغارهم ، ورأى دولهم تنتحر في بطء، وتسرع نحو الهاوية في بلاده. وعبثًا نجد جوابًا لسؤال يتردد في الخاطر أحيانًا : ماذا لوعاش ابن حزم في غير هذه الأعوام ، لو جاء قبلها بقرن ، أوتأخر به القدوم بعدها بزمن ؟ المؤكد أن حياته وسط هذه الأحداث شاهدًا ، ومشاركته فيها مؤثرًا ، جعلت منه قمة الفكر الإنساني في مطلع القرن الحادي عشر ، في الشرق والغرب ، في العالمين الإسلامي والمسيحي على السواء ،

**كان سياسيًا ، ورجل دولة ، شاعرًا وكاتبًا ومؤخرًا ، ومفكرًا وفيلسوفًا ، وفقيهًا جدلًا لدد الخصومة ،عنيف الحوار .[١]**

**مولده [٢]: ولد أبو محمد ،علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [٣].**

**نشأته : نشأ في تنعم ورفاهية ، ورزق ذكاء مفرطًا ، وذهنًا سيالًا ، وكتبًا نفيسة كثيرة ، وكان والده من كبراء أهل قرطبة ; عمل الوزارة في الدولة العامرية ، وكذلك وزير أبو محمد في شبيبته ، وكان قد مهر أولًا في الأدب والأخبار والشعر ، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة ، فأثرت فيه تأثيرًا ليته سلم من ذلك ، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ، ويقدمه على العلوم ، فتألمت له ، فإنه رأس في علوم الإسلام ، متبحر في النقل ، عديم النظير على يبس فيه ، وفرط ظاهرية[٤]**

---

[١] ) دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي،٧٢.

[٢] ) راجع هامش هذا البحث ص ٥-٦.

[٣] )عصر الدول والامارات الأندلس ، د. شوقي ضيف ، ط/دار المعارف ،٤٩٥. دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي،٧٥.

[٤] ) دخل المذهب الظاهري الأندلس في الوقت الذي دخل فيه المذهب الشافعي تقريبًا ، على يد عبدالله محمد بن قاسم بن هلال ( ت ٢٧٢هـ =٨٨٥م) ، واجتهد رغم أنه شافعي في نشر المذهب الظاهري ، ويبدو أنه لم يوفق كثيرًا فيما رمى إليه . وتعرض الظاهرية لمثل ما تعرض له الشافعية من مضايقات علماء المالكية ، وأول شخصية ظاهرية نلتقى بها ذات مقام وتأثير، منذر بن سعيد البلوطي ، وتلقى أصوله في رحلة له إلى المشرق ، وظل عليه حتى وفاته عام ٣٥٥هـ - ٩٦٦م ، ثم ضعف صوت =

**في الفروع لا الأصول [1].**

**وكان ينهض بعلوم جمة ، ويجيد النقل ، ويحسن النظم والنثر . وفيه دين وخير ، ومقاصده جميلة ، ومصنفاته مفيدة ، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكبًا على العلم ، فلا نغلو فيه ، ولا نجفو عنه ، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار :**

**- قال أبو حامد الغزالي : وجدت في أسماء الله –تعالى– كتابًا ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه.**

**- وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار ; أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . [2]**

**- قال أبو عبد الله الحميدي : كان ابن حزم حافظًا للحديث وفقهه ، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة ، متفننًا في علوم جمة ، عاملًا بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ، وما رأيت من**

---

=

الظاهرية إلى أن عاد قويًا مع ابن حزم العظيم. راجع :"دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي" ،٥٩.

[1] ) سير أعلام النبلاءمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج/ ١٨، ١٨٧.

[2] ) المرجع السابق :١٨٨.

يقول الشعر على البديهه أسرع منه ، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم .

وكانت تربيته في صباه إلى جواري قصره وكن على حظ وافر من الثقافة الأدبية وفي ذلك يقول ابن حزم في كتابه " الطوق "(( لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ، ما لا يكاد يعلمه غيري ، لأني رُبيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ،ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين أبقل وجهي (نبت الشعر فيه)[١]وهن علمنني القرآن وروينني كثيرًا من الأشعار ودربنني في الخط )) وجعلته هذه النشأة يستشعر مبكرًا عاطفة الحب لمن كن في سنه من الجواري، ويقول في الطوق ((إنه أحب حينئذا جارية شقراء فما أستحسن بعدها سوداء الشعر أبدًا .وظل يختلط بهؤلاء الجواري ويعيش معهن كما يقول إلى حد الشباب وحتى أصبح يافعًا في سن الثانية عشرة أو بعدها بقليل فالمعلم الأول في حياة ابن حزم النساء وتلقي العلوم المختلفة منهن فيقول : " هن علمنني القرآن وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربنني في الخط ، ولم يكن كدي، وإعمال ذهني منذ أول فهمي ، وأنا في سن الطفولة جدًا إلا تعرف أسبابهن والبحث عن أخبارهن )).[٢] فمن كلام ابن حزم في الطوق ، نعرف أنه أمضى طفولة رخية وضعيفة وكسولة طفولة ابن وزير ، يشب في أبهاء القصر ، وتحت رعاية الخدم ، وبين مناغاة النساء ، من القيان والجواري والإماء ، على أيديهن نشأ ، ومعهن تربى ؛ ولم يعرف غيرهن من الرجال حتى حد الشباب ....[٣]إذ يذكر أن أباه اصطحبه

---

[١] ) راجع : طوق الحمامة :٤٥ .

[٢] ) المرجع نفسه : ٦٨.

[٣] )دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ،٧٥.

إلى مجلس الحاجب المظفر بن المنصور بن أبي عامرسنة٣٩٦ه. ولم يلبث أن أخذ يتتلمذ للشيوخ وفي مقدمتهم ابن الجسور المتوفى سنة٤٠٠وعنه أخذ الحديث النبوي وتاريخ الطبري وكان لا يزال في سن مبكرة، وكثيرًا ما كان يرافق أباه في مجلس وزارته ، " ومهما يكن من أمر ، فقد نضجت شخصية ابن حزم ،واستكمل عدته، ومكنت له الأحداث من صقل مواهبه ، وزادته اعتدادًا بنفسه ، فمضى في طريقه ، يتمرد على التقاليد القائمة ، ويثور على الجمود الديني ، ويهاجم المذاهب المختلفة، فقهية وكلامية ، مسلمين وغير مسلمين ، مهاجمة عنيفة متصلة ، كلما أتيحت له الفرصة، بالمناظرة في المجالس، وبتأليف الكتب والرسائل ، واتسم جدله بقوة الحجة ، ونصاعة البيان ،وقوة الدليل ، ولكنه وقد ملك لساناً ذربًا ، مسلحًا باللغة المواتية، حتى قال عنه الصوفي الأندلسي ابن العريف :"لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان"، لا يقف عند البيان والبرهان والإقناع ..... وهكذا انصدع ما بين ابن حزم وعلماء عصره ، وكان منه ما أسماه ابن حيان: "أنه يجهل سياسة العلم "، وجعلها مصدر أخطائه ، ونحن نكتب عن حياة عظيم ، مرت على وفاته أكثر من ألف عام ، وعاش في بيئة جد مختلفة ، يستحيل علينا أن نجزم ، أو حتى نرجح ، ما كان عليه أن يتبعه من سياسة في ملاقاة معاصريه [١.

[١] ) المرجع السابق : ٩٢ ،٩٣.

**وقد درج الباحثون على تقسيم حياة ابن حزم الأدبية إلى مرحلتين هما ، فيما يرى أسين بلاثيوس [١]: "الأولى حتى الثلاثين من عمره ، والثانية منهما حتى موته ". وفي الأولى وقف حياته على الأدب والسياسة ، وفي الثانية ترك السياسة ليتفرغ لدراسة الشريعة والعقائد. وهي تفرقة يمكن أن تكون مقبولة كتبسيط نظري فحسب ، لأن المرحلتين تعايشا واقعا ، على امتداد حياته ، ولهذا ألقينا على حياة ابن حزم كلها نظرة شاملة ، ودون ذلك ليس ثمة مجال لالتقاط نفسيته شابًا ، ومعرفة الكثير من إشارات طوق الحمامة ، وإدراك عدد من فقراته يتوقف على الإلمام بها"[٢].**

---

[١] )الراهب الإسباني ميغيل أسين بلاثيوس (١٨٧١ – ١٩٤٤) مستشرق حصل على الدكتوراه عن رسالة عن الغزالي، التي عدّلها وأصدرها بعنوان «الغزالي.. العقائد والأخلاق والزهد. »

وكان كشف بجرأة علمية عبر تقريره «الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية» عن العلاقة الوطيدة بين «الكوميديا الإلهية» لدانتي وقصة المعراج و«رسالة الغفران» للمعري.

وذكرت «موسوعة المستشرقين» للدكتور عبدالرحمن بدوي، أن بلاثيوس «تابع امتداد مدرسة ابن مسرة بين الصوفية في الأندلس من خلال ابن العريف وابن عربي، إلى أن أثرت في الفكر الأوروبي عند روجر بيكون وريموندو لوليو ثم دانتي. وتُعد هذه الدراسة عن ابن مسرة من ألمع الأبحاث في تاريخ الفكر الإسلامي، وتمتاز بالأصالة وبعد النظرة والنزوع إلى تلمس الأشباه البعيدة، ما سيكون من خصائص أبحاث أسين.»

[٢] ) دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ،١٠٠.

وأعطانا ابن حزم خلاصته في بيت شعري ينضح خيلًا ،يقول : [1]

**أنا الشمس في جو العلوم ولكن عيبي أن مطلعي الغرب**

والبيت يوضح أن أهل المشرق ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم وعلومهمولكن الكثير من علماء المغرب مع نبوغهم في العلم إلا أن حظهم من الشهرة لم يكن مثل علماء المشرقوهذا ما عبر عنه الإمام ابن حزم الاندلسي في هذه الأبياتفعندما كان في المغرب لم تكن شهرته بالدرجةولكنه لما انتقل للمشرق ذاعت شهرته وصيته.

"وإنه لمثير حقًا، أن العداوة البالغة ، لهذه الشخصية العملاقة في تاريخ الأدب الأندلسي ، أسهم فيها بعض رجال الدين المتخلفون في العالم الإسلامي المعاصر ، واضطلع بالجانب الأكبر منها العلم الأوربي ، واشترك فيها عدد غير قليل من الأسبان ، فظل اسم ابن حزم ، وعلمه ، موضع جدل كبير ونقاش حاد ، ولكن أحدًا لم يستطع أن يشجبه أبدًا، وعلى الرغم من كل شيء تقاسمته ألقاب جليلة وكريمة : أحسن شاعر ، وأحسن فيلسوف ، وأحسن متكلم، يثق فيه علماء البلاغة ، ويجله رجال الأدب ، ويحترمه المثقفون .

كان واحدًا من أعظم عمالقة الفكر الإنساني على امتداد تاريخه الطويل !"[2]

---

[1] ) سير أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،ط/ مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ،الطبقة الرابعة والعشرون، ابن حزم.٢٠٩.

[2] )دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ،١٠٢.

# الفصل الثاني :

# الدراسة الموضوعية

# لكتاب طوق الحمامة .

**أبدع ابن حزم في وصف سلطان العشق وسنته حين كتب :[١]**

**" واعلم أعزك الله أن للحب حكمًا على النفوس ماضيًا، وسلطانًا قاضيًا، وأمـرًا لا يخالف، وحدًا لا يعصى، وملكًا لا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذًا لا يـرد؛ وأنه ينغص المرر، ويحيل المبرم، ويحلل الجامد، ويحل الثابت، ويحل الشغاف، ويحل الممنوع ."**

**بعبارة أدق يميل الحب، بطبيعته الأصيلة ،في اتجـاهين متناقضـين، وينـزع نزعتين متضاربتين ولا يمكن إشباع الأولى إلا على حساب الثانية ، ولا يمكـن النزول عند رغبات الثانية وتحقيق اكتفائها إلا بالتضـحية الأليمـة بمتطلبـات النزعة الأولى ، وحرمانها من الشعور بالكتفاء والرضا . فمن سار على سُـنة العشق والتزم بها يشقى بسبب فقدانه لكل ما تعنيه نزعة الامتداد بالنسبة لحبه ولدوامه ، ومن سار على شريعة الامتداد والتزم بها تنغص عيشه باسـتمرار بسبب فقدانه لكل ما تعنيه نزعة الاشتدادفي حياة الحب .**

**سأدعو هذا الاشكال الماثل في طبيعة الحب " بمفارقة الحـب الكبـرى " وقـد وصف ابن حزم في رسالته المشهورة هذه المفارقة على أنها صـراع بـين " النفس " التي ترمزعنده إلى نزعة العشق وسنتها ، وبين " العقل " الذي يرمز إلى استمرار الحب واستقراره[٢] ،فقال : [٣]**

---

[١] ) طوق الحمامة :٢٥.

[٢] ) في الحب والحب العذري ، د/ صادق جلال العظم ، ط/ دار المدى للثقافة والنشر ، ط/٥، ٢٠٠٢ م ، ٣١.

[٣] ) طوق الحمامة : ١٢١،١٢٢، باب قبح المعصية .

" هاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال بهما .....فهما يتقابلان أبدًا ويتنازعان دأبًا فإذا غلب العقل النفس ارتدع الإنسان وقمع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله واتبع العدل وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة ولم يصح الفرق بين الحسن والقبيح وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة "[١].

وواضح أن وصف ابن حزم للميول المتعارضة التي تتنازع الحب يتحيز لشريعة الامتداد ولكن بإمكاننا أن نغض النظر عن رأيه الشخصي في تفضيل ناحية على الأخرى ، ونستفيد من إدراكه للمعضلة ، ووصفه لها .[٢]

حيث يقول : قسمت رسالتي هذه على ثلاثين بابا[٣]، منها في أصول الحب عشرة فأولها هذا الباب" الكلام في ماهية الحب " وقد قال فيه :" الحب – أعزك الله – أوله هزل وآخره جد. دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا

---

[١] ) المرجع السابق :١٢٢.

[٢] ) في الحب والحب العذري ، د/ صادق جلال العظم ، ٣٢.

[٣] )والكلام في باب ماهية الحب، ثم باب علامات الحب، ثم باب من أحب بالوصف، ثم باب من أحب من نظرة واحدة، ثم باب من لا يحب إلا مع المطاولة، ثم باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها، ثم باب التعريض بالقول، ثم باب الإشارة بالعين، ثم باب المراسلة، ثم باب السفير، ثم باب طي السر، ثم باب إذاعته، ثم باب الطاعة، ثم باب المخالفة، ثم باب العاذل، ثم باب المساعد من الإخوان؛ ثم باب الرقيب، ثم باب الوشي، ثم باب الوصل، ثم باب الهجر، ثم باب الوفاء، ثم باب الغدر، ثم باب البين، ثم باب القنوع، ثم باب الضنى، ثم باب السلو ثم باب الموت؛ ثم باب قبح المعصية؛ ثم باب التعفف .

تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل."[1]]

ومما يؤكد هذا القول أننا علمنا أن المحبة ضروب. فأفضلها محبة المتحابين في الله عزوجل؛ إما لاجتهاد في العمل، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذاهب، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان ومحبة القرابة، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة لبر يضعه المرء عند أخيه، ومحبة لطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها فاترة ببعدها. حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت[2]] .

، ثم باب في علامات الحب، وفيه يقول :[3]]

"وللحب علامات يقفوها الفطن، ويهتدي إليها الذكي. فأولها إدمان النظر، والعين باب النفس الشارع، وهي المنقبة عن سرائرها، والمعبرة لضمائرها والمعربة عن بواطنها. فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس. وفي ذلك أقول شعرًا، منه:

**فليس لعيني عند غيرك موقف كأنك ما يحكون من حجر البهت**

**أصرفها حيث انصرفت وكيف ما تقلبت كالمنعوت في النحو والنعت**

---

[1] ) طوق الحمامة: ٤.

[2] ) طوق الحمامة: ٦،٧.

[3] ) المرجع نفسه :١٠ .

ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد، والتضايق في المكان الواسع، والمجاذبة على الشيء يأخذه أحدهما، وكثرة الغمز الخفي، والميل بالاتكاء، والتعمد لمس اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة. وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء، وتحري المكان الذي قابله فيه.[١]

ومنها علامات متضادة، وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والأسباب المحركة والخواطر المهيجة، والأضداد أنداد، والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها. ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام، فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعل فِعل النار، ونجد الفرح إذا أفرط قتل، والغم إذا أفرط قتل، والضحك إذا كثر واشتد أسال الدمع من العينين. وهذا في العالم كثير، فنجد المحبين إذا تكافيا في المحبة وتأكدت بينهما تأكدًا شديدًا أكثر بهما جدهما بغير معنى، وتضادهما في القول تعمدًا، وخروج بعضهما على بعض في كل يسير من الأمور، وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على غير معناها، كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه. والفرق بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشحناء ومخارجة التشاجر سرعة الرضى، فإنك بينما ترى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا يقدر يصلح عند الساكن النفس السالم من الأحقاد في الزمن الطويل ولا ينجبر عند الحقود أبدًا، فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمل الصحبة، وأهدرت المعاتبة، وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مرارًا.[٢]

---

[١] ) المرجع نفسه :١٢.

[٢] ) المرجع نفسه :١٣.

فقد ذكر من علامات الحب إدمان النظر والإقبال بالحديث عن المحبوب ، والاسراع بالسير إلى المكان الذي يكون فيه المحبوب والاضطراب عند رؤية من يحب فجأة وحب الحديث عن المحبوب .[١] يقول ابن حزم :"ومن علاماته أنك تجد المحب يستدعي سماع اسم من يحب، ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيراه، ولا يرتاح لشيء ارتياحه لها ولا ينهه عن ذلك تخوف أن يفطن السامع ويفهم الحاضر، وحبك الشيء يعمي ويصم."[٢]

ثم باب فيه (ذكر من أحب في النوم)[٣]وذكر فيه كثرة رؤية المحبوب في المنام ، كما حدث لأبي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد عندما دخل عليه فوجده مفكرًا مهتمًا فسأله عما به ، فتمنع ساعة ثم قال لي اعجوبة ما سمعت قط قلت وما ذاك قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبي فيها وهمت بها وإني لفي أصعب حال من حبها ولقد بقي أيامًا كثيرة يزيد على الشهر مغمومًا مهمومًا لا يهنئه شيء وجداإلى أن عذلته وقلت له من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد هل تعلم من هي قال لا والله، قلت إنك لقليل الرأي مصاب البصيرة إذ تحب من لم تره قط ولا خلق ولا هو في الدنيا .....[٤]، ثم (باب من أحب بالوصف) وذكر فيه أن تقع المحبة بالوصف فقط دون المعاينة وهذا أمر يترقى منه إلى جميع الحب فتكون المراسلة والمكاتبة والهم والوجد والسهر على غير

---

[١] ) راجع : بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ، دانا عبد اللطيف سليم حمودة ،٣٤.

[٢] ) طوق الحمامة:١٣.

[٣] ) المرجع نفسه :٣.

[٤] ) راجع المرجع نفسه :١٧-١٨ .

الابصار فإن للحكايات ونعت المحاسن ووصف الاخبار تأثيرًا في النفس ظاهرًا وإن لم تسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سببًا للحب واشتغال البال..... وفي ذلك أقول شعرًا منه :[١]

**ويا من لا مني في حب من لم يره طرفي**

**لقد أفرطت في وصفك لي في الحب بالضعف**

**فقل هل تعرف الجنة يوما بسوى الوصف**

وأقول أيضًا في مخالفة الحقيقة لظن المحبوب عند وقوع الرؤية :

**وصفوك لي حتى إذا أبصرت ما وصفوا علمت بأنه هذيان**

**فالطبل جلد فارغ وطنينه يرتاع منه ويفرق الإنسان**

و(باب من أحب من نظرة واحدة ) ذكر فيه وقوع الحب في القلب لمجرد نظرة واحدة يقول : " وكثيرًا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة. وهو ينقسم قسمين، فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا، وهو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسمًا ولا مستقرًا، وقد عرض هذا لغير واحد.

والقسم الثاني مخالف للباب الذي يأتي بعد هذا الباب إن شاء الله، وهو أن يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ، ولكن التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وإبطائه، فمن أحب من نظرة واحدة وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة البصر، ومخبر بسرعة

[١] ) راجع المرجع نفسه :١٩ .

السلو، وشاهد الظرافة والملل. وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نموًا أسرعها فناء. وأبطؤها حدوثًا أبطؤها نفاذًا.[١]]

ثم يذكر خبرًا ، ثم يأتي (باب من لا يحب إلا مع المطاولة) ربط فيه بين المحبة وطول الكتمان ، وكثرة المشاهدة للمحب يقول : "ومن الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول المخافتة وكثير المشاهدة وتمادي الأنس، وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت ولا يحيك فيه مُر الليالي فما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرًا، وهذا مذهبي"[٢].]

"وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان، فهذا سرَّ الشهوة ومعناها على الحقيقة فإذا غلبت الشهوة ،وتجاوزت هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس يسمى عشقًا .ومن هنا دخل الخلط على من يزعم أن يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين، فإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفًا، وهي على المجاز تسمى محبة لا على التحقيق، وأما نفس المحب فما في الميل به فضل بصرفه من أسباب دينه ودنياه فكيف بالاشتغال بحب ثان وفي ذلك يقول :[٣]]

---

[١] ) المرجع السابق :٢١.

[٢] ) المرجع نفسه:٢٢.

[٣] )المرجع نفسه: ٢٣،٢٤.

**كذب المدعي هوى اثنين حتما مثل ما في الأصول أكذب ماني**

**ليس في القلب موضع لحبيبين ولا أحدث الأمور بثان**

**فكما العقل واحد ليس يدريخالقاً غير واحد رحمان**

**فكذا القلب واحد ليس يقوى غير فرد مباعد أو مدان**

**هو في شرعة المودة ذو شك بعيد من صحة الإيمان**

**وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان**

باب من أحب صفةلم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها)[١]و قد قال فيه:(ثم

"واعلم أعزك الله أن للحب حكمًا على النفوس ماضيًا، وسلطانًا قاضيًا، وأمرًا لا يخالف، وحدًا لا يعصى، وملكًالا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذًا لا يرد؛ وأنه ينقض المرر، ويحل المبرم، ويحلل الجامد، ويخل الثابت، ويحل الشغاف، ويحل الممنوع، ولقد شاهدت كثيرًا من الناس لا يتهمون في تمييزهم، ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم، ولا اختلال بحسن اختيارهم، ولا تقصير في حدسهم، قد وصفوا أحبابًا لهم في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال، فصارت هجيراهم ،وعرضة لأهوائهم، ومنتهى استحسانهم ثم مضى أولئك إما بسلو أو بين أو هجر أو بعض عوارض الحب، وما فارقهم استحسان تلك الصفات ولا بان عنهم تفضيلها، على ما هو أفضل منها في الخليقة، ولا مالوا إلى سواها؛بل صارت تلك الصفات المستحبة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم إلى أن فارقوا الدنيا وانقضت أعمارهم، حنينًا منهم إلى من فقدوه، وألفة لمن صحبوه." فهو يؤكد فيه أنه من أحب

[١] )المرجع نفسه:٢٥.

صفة كانت في محبوبته لم يرغب بصفة غيرها ، فمن أحب شقراء الشعر مثلا لا يرضى بذات الشعر الأسود .يقول :"وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه ولا تحب غيره البتة، وهذا العارض بعينه عرض لأبي رضي الله عنه وعلى ذلك جرى إلى أن وافاه أجله.

ويضرب شعرًا يقول فيه :

**يعيبونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي**

**يعيبون لون النور والتبر ضلة لرأي جهول في الغواية ممتد**

ثم باب التعريض بالقول وقد ذكر فيه :أن أول ما يستعمله أهل المحبة في كشف ما يجدونه إلى أحبتهم بالقول إما بإنشاد الشعر أو طرح لغز أو تسليط الكلام [١] يقول :

"ولا بد لكل مطلوب من مدخل إليه، وسبب يتوصل به نحوه فلم ينفرد بالاختراع دون واسطة إلا العليم الأول جل ثناؤه. فأول ما يستعمل طلاب أوصل وأهل المحبة في كشف ما يجدونه إلى أحبتهم التعريض بالقول، إما بإنشاد شعر، وبإرسال : مثل، أو تعمية بيت، أو طرح لغز، أو تسليط كلام وللناس يختلفون في ذلك على قدر إدراكهم، وعلى حسب ما يرونه من أحبتهم من نفار أو أنس أو فطنة أو بلادة. وإني لأعرف من ابتدأ كشف محبته إلى من كان يحب بأبيات قلتها. فهذا وشبهه يبتدئ به الطالب للمودة، فإن رأى أنسًا وتسهيلًا زاد، وإن يعاين شيئًا من هذه الأمور في حين إنشاده لشيء مما ذكرنا، أو إيراده لبعض

[١] ) راجع بحث : شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ، ٣٥.

المعاني التي حددنا، فانتظاره الجواب، إما بلفظ أو هيئة الوجه والحركات، لموقف بين أرجاء واليأس هائل، وإن كان حينًا قصيرًا، ولكنه إشراف على بلوغ الأمل أو انقطاعه.[١]]

ثم يعرض خبرًا جاء فيه :

"وأنا أعرف فتى وجارية كانا يتحابان، فأرادها في بعض وصلها على بعض مالا يجمل. فقالت: والله لا شكونك في الملإ علانية ولأفضحنك فضيحة مستورة. فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجل رجال الخلافة، وفيه ممن يتوقى أمره من النساء والخدم عدد كثير، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى، لأنه كان بسبب من الرئيس، وفي المجلس مغنيات غيرها فلما انتهى الغناء إليها سوت عودها واندفعت تغني بأبيات قديمة، وهي:

**غزال قد حكى بدر التمام كشمس قد تجلت من غمام**

وعلمت أنا هذا الأمر فقلت:

**عتاب واقع وشكاة ظلم اتت من ظالم حكم وخصم**

**تشكت ما بها لم يدر خلق سوى المشكو ما كانت تسمى**

ثم باب الإشارة بالعين، وذكر فيه إشارات المحبوب لمحبوبة بالعين يقول[٢]:"ثم يتلو التعريض بالقبول، إذا وقع القبول والموافقة، الإشارة بلحظ العين وإنه ليقوم في هذا المعنى المقام المحمود، ويبلغ المبلغ العجيب، ويقطع به ويتواصل، ويوعد ويهدد، وينتهر ويبسط ويؤمر وينهي، وتضرب به الوعود،

---

[١] ) طوق الحمامة : ٢٧.

[٢] ) طوق الحمامة : ٢٩.

وينبه على الرقيب، ويضحك ويحزن، ويسأل ويجاب، ويمنع ويعطي.ولكل واحد من هذه المعاني ضرب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده إلا بالرؤيـــة، ولا يمكن تصويره ولا وصفه إلا بالأقل منه. وأنا واصف ما تيسر من هذه المعاني: فالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر، وتفتيرها إعلام بالقبول وإدامـــة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفـــرح.والإشـــارة إلـــى إطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيـــه على مشار إليه.

والإشارة الخفية بمؤخر العينين كلتاهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العـــين إلى الماق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهي عـــام. وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة.

ويُعد ابن حزم العين أبلغ الحواس وأصحها دلالةً وأوعاها عملًـــا عـــن بقيـــة الحواس يقول : "وأعلم أن العين تنوب عن الرســـل، ويـــدرك بهـــا المـــراد والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأصـــحها دلالة وأوعاها عملا وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات."[1]

ثـــم بـــاب المراســـلة،يتحدث فيـــه عـــن كيفيـــة المراســـلة بـــين المحبـــين بالرسائل ، وصفات الرســـائل بـــين المحبـــين وشـــعور المحـــب بالســـرور عند تلقيه رسالة من المحبوبة .[2]

[1] ) طوق الحمامة : ٢٩ .

[2] )انظر : بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ، ٣٥.

يقول :"ثم يتلو ذلك إذا امتزجا المراسلة بالكتب. وللكتب آيات. ولقد رأيت أهل هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب وبحلها في الماء وبمحو أثرها، فرب فضيحة كانت بسبب كتاب. وفي ذلك أقول:

"ثم يتلو ذلك إذا امتزجا المراسلة بالكتب. وللكتب آيات. ولقد رأيت أهل هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب وبحلها في الماء وبمحو أثرها، فرب فضيحة كانت بسبب كتاب. وفي ذلك أقول:

**عزيز على اليوم قطع كتابكم ولكنه لم يلف للود قاطع**

**فآثرت أن يبقى وداد ويمتحي مداد فإن الفرع للأصل تابع**

**فكم من كتاب فيه ميته ربه ولم يدره إذ نمقته الأصابع**

ثم يذكر خبر جاء فيه :

" ولقد رأيت كتاب المحب إلى محبوبه، وقد قطع في يده بسكين له فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب أجمع. ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه فما شككت أنه يصبغ اللك.[١]

ثم باب السفير. يتحدث فيه شروط السفير بين المحبين " فينبغي أن يكون الرسول ذا هيئة، حاذقاً يكتفي بالإشارة، ويقرطس عن الغائب، ويحسن من ذات نفسه، ويضع من عقلهما أغفله باعثه، ويؤدي إلى الذي أرسله كل ما يشاهد على وجهه، كاتما للأسرار، حافظاللعهد، قنوعاً ناصحا ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعثهبمقدار ما نقصه منها وفي ذلك أقول شعراً منه :

---

[١] )طوق الحمامة :٣١.

**رسولك سيف في يمينك فاستجد ... حساماً ولا تضرب به قبل صقله[١]**

**فمن يك ذا سيف كهام فضره يعود على المعني منه بجهله**

**ثم باب طي السر وقد جاء فيه : "ومن بعض صفات الحب الكتمان باللسان، وجحود المحب إن سئل، والتصنع بإظهار الصبر، وأن يرى أنه عزهاة[٢] ]خلى. ويأبى السر الدقيق، ونار الكلفالمتأججة في الضلوع، إلا ظهوراً في الحركات والعين، ودبيباً كدبيب النار في الفحم والماء في يبيس المدر."[٣]]**

**فيجمع فيه صفات كتمان الحب كجحود المحب إن سئل، والتصنع بإظهار الصبر....**

**ويذكر سبب كتمان الحياء الغالب على الانسان .**

**وكعادة ابن حزم يذكر فيه العديد من الأشعار والكثير من الأخبار .**

**يقول وفي كتمان السر أقول قطعة منها :**

**للسر عندي مكان لويحل به حتى إذا لا اهتدى ريب المنون له**

**اميته وحياة السر ميتته كما سرور المعنى في الهوى الوله**

---

[١] ) بحر الطويل .

[٢] ) قال في الأساس :هو عزهاة عن اللهو والنساء إذا لم يردهن ورغب عنهن . قال :

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

[٣] ) طوق الحمامة : ٣٣.

وربما كان سبب الكتمان توقي المحب على نفسه من إظهار سره، لجلالة قدر المحبوب

(خبر): ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعرًا تغزل فيه بصبح أم المؤيد رحمه الله. فغنت به جارية أدخلت على المنصور محمد بن أبي عامر ليبتاعها، فأمر بقتلها.[١]]

ويأتي باب الاذاعة وجاء فيه أسباب إذاعة الحب يقول : "وقد تعرض في الحب الإذاعة، وهو منكر ما يحدث من أعراضه، ولها أسباب، منها: أن يريد صاحب هذا الفعل أن يتزيي بزي المحبين ويدخل في عدادهم، وهذه خلافة لا ترضى، وتخليج بغيض، ودعوى في الحب زائفة.وربما كان من أسباب الكشف غلبة الحب وتسور الجهر على الحياء. فلا يملك الإنسان حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً. وهذا من أبعد غايات العشق وأقوى تحكمه على العقل، حتى يمثل الحسن في تمثال القبيح، والقبيح في هيئة الحسن. وهنالك يرى الخير شراً، والشر خيراً. وكم مصون الستر مسبل القناع مسدول الغطاء قد كشف الحب ستره، وأباح حريمه، وأهمل حماه فصار بعد الصيانة علماً، وبعد السكون مثلاً.[٢]]

ومن أسباب الكشف وجه ثالث[٣]]وهو عند أهل العقول وجه مرذول وفعل ساقط؛ وذلك أن يرى المحب من محبوبه غدراً أو ملالاً أو كراهة؛فلا يجد طريق الانتصاف منه إلا بما ضرره عليه أعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار. وهذا أشد العار وأقبح الشنار وأقوى بشواهد عدم العقل ووجود

---

[١] ) طوق الحمامة :٣٥.

[٢] ) طوق الحمامة :٣٦.

[٣] ) طوق الحمامة :٣٨.

السخف. وربما كان الكشف من حديث ينتشر وأقاويل تفشو، توافق قلة مبـــالاة من المحب بذلك، ورضى بظهور سره، إما لإعجاب وإما لاستظهار على بعض ما يؤمله. وقد رأيت هذا الفعل لبعض إخواني من أبناء القواد، وقرأت في بعض أخبار الأعراب أن نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويجاهر ويعلن وينوه بذكرهن، ولا أدري ما معنى هذا، على أنـــه يذكر عنهن العفاف، وأي عفاف مع امرأة أقصى مناها وسرورها الشهرة فـــي هذا المعنى.

ثم يأتي باب الطاعة ليوضح أسباب طاعة المحب للمحبوب ، وكيف أن الحـــب يغير من طباع المحب والمحبوب ويعكس صفاته يقول : "ومن عجيب ما يقـــع في الحب طاعة المحب لمحبوبه، وصرفه طباعه قسرا إلى طبـــاع مـــن يحبـــه وربما يكون المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جمـــوح القيـــادة، ماضـــي العزيمة، حمى الأنف، أبى الخسف، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب، ويتـــورط عمره، ويعوم في بحره،عادت الشراسة ليانا، والصعوبة سهلة والمضاء كلالة؛ والحمية استسلاما. وفي ذلك أقول قطعة، منها:

**فهل للوصال إلينا معادوهل لتصاريف ذا الدهر حد**

**فقد أصبح السيف عبد القضيب و أضحى الغزال الأسير أسد**

ويكثر من ذكر الأخبار .

ويذكر أسباب ودواعي التذلل والتدلل في الحب يقول :

"ولا يقولن قائل إن صبر المحب على دلة المحبوب دناءة في النفس فقد أخطأ، وقد علمنا أن المحبوب ليس له كفوا ولا نظيرا فيقارض بأذاه، ولـــيس ســـبه وجفاه مما يعير به الإنسان ويبقى ذكره على الأحقاب، ولا يقع ذلك في مجالس

الخلفاء، ولا في مقاعد الرؤساء، فيكون الصبر مستجرة للمذلة، وضراعة قائدة للاستهانة، فقد ترى الإنسان لا يكلف بأمته التي يملك رقها، ولا يحول حائل بينه وبين التعدي عليها فكيف الانتصار منها. وسبل الامتعاض من السبب غير هذه، إنما ذلك بين علية الرجال الذين تحصل أنفاسهم وتتبع معاني كلامهم فتوجه لها الوجوه البعيدة، لأنهم لا يوقعونها سدى ولا يلقونها همـلاً، وأما المحبوب فصعدة ثابتة، وقضيب منآد، يجفو ويرضى متى شاء لا لمعنى. وفي ذلك يقول :[١]

**ليس التذلل في الهوى يستكبر فالحب فيه يخضع المستكبر**

**لا تعجبوا من دلتي في حالة قد دل فيها قبلي المستبصر**

ثم يتندر بذكر بعض الأخبار فيقول :

"خبر: ومن عجيب طاعة المحب لمحبوبه أني أعرف من كان سهر الليالي الكثيرة ولقى الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضروب الوجد ثم ظفر بمن يحب وليس به امتناع ولا عنده دفع، فحين رأى منه بعض الكراهة لما نواه تركه وانصرف عنه، لا تعففا ولا تخوفا لكن توقفا عند موافقة رضاه، ولم يجد من نفسه معيناً على إتيان ما لم ير له إليه نشاطاً وهو يجد ما يجد. وإني لأعرف من فعل هذا الفعل ثم تندم لعذر ظهر من المحبوب."[٢]

ويأتي باب المخالفةليذكر أسباب مخالفة المحب لمحبوبه يقول :

---

[١] ) طوق الحمامة :٤٠.

[٢] ) طوق الحمامة :٤٣.

"وربما اتبع المحب شهوته وركب رأسه فبلغ شفاءه من محبوبه، وتعمد مسرته منه على كل الوجوه سخطاً ورضى. ومن ساعده على الوقت هذا وثبت جنانه وأتيحت له الأقدار استوفى لذته جميعها وذهب غمه وانقطع همه ورأى أمله وبلغ مرغوبه. وقد رأيت من هذه صفته، وفي ذلك أقول أبياتاً، منها:

**إذا أنا بلغت نفسي المنى من رشأ مازال لي ممرضا**

**فما أبالي الكره من طاعة ولا أبالي سخطا من رضا**

**إذا وجدت الماء لابد أن أطفي به مشعل جمر الغضبا**

ويأتي باب العاذل ليوضح أفات الحب ومنها وأولها دور العاذل ثم يبين تقسيم العذال فأصلهم العاذل الصديق، ويوضح صفاته ومنها : قد أسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه فعذله أفضل من كثير المساعدات؟ عالمًا بالأوقات التي يؤكد فيها النهي، ثم العاذل الزاجر ويوضح صفاته ومنها : لا يفيق أبداً من الملامة، ثم يقول :"ولقد رأيت من اشد وجده وعظم كلفه حتى كان العذل أحب شيء إليه، ليرى العاذل عصيانه ويستلذ مخالفته، ويحصل مقاومتهاللائمة وغلبته إياه. كالملك الهازم لعدوه والمجادل الماهر الغالب لخصمه، ويسر بما يقع منه في ذلك وربما كان هذا المستجلب لعذل العاذل بأشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفي ذلك أقول أبياتًا،"[1] منها:

**أحب شيء إلى اللوم والعذل كي أسمع اسم الذي ذكراه لي أمل**

**كأنني شارب بالعذل صافية وباسم مولاي بعد الشرب انتقل**

[1] )طوق الحمامة :٤٤.

بعد ذلك يأتي باب المساعد من الإخوان يقول فيه :"ومن الأسباب المتمناة في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقًا مخلصًا، لطيف القول، بسيط الطول. حسن المآخذ دقيق المنفذ. متمكن البيان، مرهف اللسان، جليل الحلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة شديد الاحتمال صابراً على الإدلال، جم الموافقة، جميل المخالفة، مستوى المطابقة، محمود الخلائق، مكفوف البوائق، محتوم المساعدة، كارهاً للمباعدة، نبيل المدخل، مصروف الغوائل، غامض المعاني عارفاً لا لأماني، طيب الأخلاق، سري الأعراق، مكتوم السر، كثير البر، صحيح الأمانة، مأمون الخيانة، كريم النفس، نافذ الحس، صحيح الحدس، مضمون العون، كامل الصون، مشهور الوفاء، ظاهر الغناء، ثابت القريحة، مبذول النصيحة، مستيقن الوداد، سهل الانقياد، حسن الاعتقاد، صادق اللهجة، خفيف المهجة، عفيف الطباع، رحب الذراع، واسع الصدر، متخلقاً بالصبر، يألف الإمحاض، ولا يعرف الإعراض، يستريح إليه بلابله، ويشاركه في خلوة فقره، ويفاوضه في مكتوماته، وإن فيه للحب لأعظم الراحات، وأين هذا، فإن ظفرت به يداك فشدهما عليه شد الضنين، وأمسك بهما إمساك البخيل، وصنه بطارفك وتالدك، فمعه يكمل الأنس، وتنجلي الأحزان، ويقصر الزمان، وتطيب الأحوال ولن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عونًا جميلًا، ورأيًا حسنًا، ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والدخلاء كي يخففوا عنهم بعض ما حملوه من شديد الأمور وطوقوه من ناهض الأحمال. ولكي يستغنوا بآرائهم ويستمدوا بكفايتهم. وإلا فليس في قوة الطبيعة أن تقاوم كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها."[١]

فيذكر فيه صفات الصديق المخلص الذي يعلم بأمر المحبين ويكتم السر .

---

[١] ) طوق الحمامة :٤٥.

ويأتي دور باب الرقيب وعده من آفات الحب لأنه يحاول إظهار سر المحبين والبوح بوجودهما ومن الأخبار التي وردت في الباب :"خبر: ولقد شاهدت يومًا محبين في مكان قد ظنا أنهما انفردا فيه وتأهبا للشكوى فاستحليا ما هما فيه من الخلوة، ولم يكن الموضع حمي، فلم يلبثا أن طلع عليهما من كانا يستثقلانه، فرأى فعدل إلي وأطال الجلوس معي، فلو رأيت الفتى المحب وقد تمازج الأسف البادي على وجهه مع الغضب لرأيت عجباً. وفي ذلك أقول قطعة، منها:[1]]

**يُطيلُ جُلوسًا وهو أثقلُ جالسٍ ويُبدي حديثًا لَسْتُ أرضى فنونهُ**

**شمامٌ ورَضْوى واللّكام ويَذْبِلٌ ولبنانُ والصمّانُ والحربُ دونهُ**

والرّقباءُ أيضًا أنواع: أولهم مثقلٌ بالجلوس غير متعمّد في مكان اجتمع فيه المرءُ مع محبوبه، وعز ما على اظهار شيءٍ من سرّهما والبوح بوجدهما والانفراد بالحديث.

ثم رقيب يريد استبانة أمر المحبين، إذا استراب في أمرهما، فيدمن الجلوسويطيل القعود، ويتخفّى بالحركات، ويرمقُ الوجوه، ويحصِّلُ الأنفاسُ وهذا أعدا من الحرب ...

ثم رقيب على المحبوب، فذلك لا حيلة فيه إلاّ بترضيّة. وإذا أرضيَ فذلك غاية اللَّذةِ، وهذا الرَّقيبُ هو الذي ذكرتهُ الشّعراءُ في أشعارها.

وفي ذلك يقول ابن حزم :

**ورُبّ رقيبٍ أرقبوه فلم يزلْ على سيّدي عمدًا ليُبعدني عنهُ**

[1] ) طوق الحمامة : ٤٧،٤٨.

**فمازالتِ الألطافُ تحكمُ أمرهُ إلى أن غدا خوفي له آمنًا منه**

ويقول في الرّقيب الداهية الذي امتحن بالعشق قديمًا ودُهيَ به وطالت مُدتهُ فيه ثمَّ عُري عنه بعد إحكامه لمعانيه، فكان راغبًا في صيانةِ مَنْ رقبَ عليه:

**وأتقنَ حيلة الصَّبِّ المعنىولم يُضِع الإشارة والكلاما**

ثم باب الواشي الذي يريد القطع بين المتحابين والاطلاع على أسرار المحبين وذكر الوشاة الكاذبين ، كما ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال والأشعار التي تنهي عن الكذب .

يقول ابن حزم : "ومن آفات الحب الوشي، وهو على ضربين أحدهما واشٍ يريد القطع بين المتحابين فقط، وإن هذا لأفترهما [١]سوءة، على أنه السم الذعاف والصاب الممقر [٢]والحتف القاصد والبلاء الوارد. وربما لم ينجع ترقيشه[٣]. وأكثر ما يكون الوشي فإلى المحبوب، وأما الحب فهيهات، حال الجريض دون القريض. ومنع الحرب من الطرب، شغله بما هو مانع له من استماع الواشي. وقد علم الوشاة ذلك، وإنما يقصون إلى الخلي البال، الصائل بحوزة الملك، المتعتب عند أقل سبب.[٤]"

فابن حزم قسم الواشي إلى قسمين :

أحدهما: واشي يريدُ القطع بين المتحابين فقط، وإنَّ هذا لافترهما سوأة.

---

[١] ) يريد أقلهما إساءة وأخفهما شرًا .

[٢] ) أمقر صار مرا.

[٣] ) رقش كلامه رقشا زوقه وزخرفه .

[٤] ) طوق الحمامة :٥٠.

وثانيهما : واشي يريدُ القطع بين المتحابين لغرض في نفسه يريد به أن يصل إلى المحبوبة وهو سمّ زعاف.

وإن للوشاة ضروبًا من التنقيل،فمنها أن يذكر للمحبوب عمن يحب أنه غير كاتم للسر.....وربما ذكر الواشي أن ما يظهر المحب من المحبة ليست بصحيحة.....

وربما نقل الواشي أن هوى العاشق مشترك وهذه النار المحرقة والوجع الفاشي في الأعضاء.....

والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحبوب ويستأثر به وهذا أشد شيء وأقطعه وأجزم لاجتهاد الواشي واستفادة جهده. ومن الوشاة جنس ثالث، وهو واش يسعى بهما جميعًا ويكشف سرهما، وهذا لا يلتفت إليه إذا كان المحب مساعدًا.

وفي ذلك يقول ابن حزم :

**عجبت لواش ظل يكشف أمرنا وما بسوى أخبارنا يتنفس**

**وماذا عليه من عنائي ولوعتي أنا آكل الرمان والولد يضرس**

وهي أبيات تخلو –جميعًا– من أيّة صورة فنية فلا تُعد أن تكون إحالة عقيلة موزونة لأفكاره النثرية التي يوردها في المتن النَّصي.[1]]

ويأتي باب الوصل ليعرض من خلاله ابن حزم حلاوة الوصل خاصة بعد طول الامتناع ، وانتظار الوعد من المحب ، والمواعيد بين المحبين يقول :".....ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد، وإن للوعد المنتظر مكانًا

[1]) راجع بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ،٣٦.

لطيفًا من شغاف القلب، وهو ينقسم قسمين، أحدهما الوعد بزيارة المحب لمحبوبه وفيه أقول قطعة، منها:

**أسامر البدر لما أبطأت واري في نوره من سنا اشراقه عرضا**

**فبت مشترطا والود مختلطا والوصل منبسطا والهجر منقصا**

والثاني انتظار الوعد من المحب أن يزور محبوبه وإن لمبادئ الوصل وأوائل الاسعاف لتولجا على الفؤاد ليس لشيء من الاشياء وإني لأعرف من كان ممتحنا بهوى في بعض المنازل المصاقبة فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا سبيل إلى غير النظر والمحادثة زمانًا طويلًا، ليلا متى أحب ونهارًا، إلى أن ساعدته الأقدار بإجابة، ومكنته بإسعاد بعد يأسه، لطول المدة ولعهدي به قد كاد أن يختلط عقله فرحًا، وما كاد يتلاحق كلامه سرورًا، فقلت في ذلك:[١]

**جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عيني عنا الفرس**

ثم يذكر العديد من الأخبار .

الهجر أيضًا يعده ابن حزم من آفات الحب ،وهو على ضروب: فأولها هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر؛ وقد يكون من أجل التذلل، وقد يكون من أجل إبعاد الملل أو بسبب العتاب لذنب يقع من المحب .[٢] ثم يقول :

" ولقد عرض لي في الصبا هجر مع بعض من كنت آلف، على هذه الصفة وهو لا يلبث أن يضمحل ثم يعود. فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعرًا بديهيًا ختمت كل بيت منه بقسم من أو قصيدة طرفة بن العبد المعلقة، وهي التي

---

[١] ) طوق الحمامة :٥٧.

[٢] )راجع بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ،٣٦.

قرأناها مشروحة على أبي سعيد الفتى الجعفري عن أبي بكر المقرئ عن أبي جعفر النحاس، رحمهم الله، في المسجد الجامع بقرطبة، وهي:[1]]

**تذكرت ودًا للحبيب كأنهلخولة أطلال ببرقة ثمهد**

**وعهدي بعهد كان لي منه ثابتيلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد**

ومن حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء وهذا هو الباب الذي يلي باب الهجر ، وهو عند ابن حزم لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات. وفي ذلك أقول قطعة منها:

**أفعال كل أمرئ تنبى بعنصره والعين تغنيك عن أن تطلب الأثرا**

ثم يتحدث عن مراتب الوفاء"وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب، لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده. ولولا أن رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام في أخلاق الإنسان وصفاته المطبوعة والتطبع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبع وما يضمحل من التطبع بعد الطبع، لزدت في هذا المكان ما يجب أن يوضع في مثله، ولكنا إنما قصدنا التكلم فيما رغبته من أمر الحب فقط. وهذا أمر كان يطول جدًا إذ الكلام فيه يتفتن كثيرًا."[2]]

ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر، وهي للمحب دون المحبوب، وليس للمحبوب هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك، وهي خطة لا يطيقها إلا جلد قوي واسع

---

[1] ) طوق الحمامة :٦٦.

[2] ) طوق الحمامة :٧٤.

الصدر حر النفس عظيم الحلم جليل الصبر حصيف العقل ماجد الخلق سالم النية.[١]]

ثم يذكر العديد من الأخبار .

ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس البات، وبعد حلول المنايا وفجاءات المنون. وإن الوفاء في هذه الحالة لأجل وأحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء.

وللوفاء شروط على المحبين لازمة. فأولها أن يحفظ عهد محبوبه ويرعى غيبته، ويستوي علانيته وسريرته، ويطوي شره وينشر خيره، ويغطي على عيوبه ويحسن أفعاله، ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما حمله ولا يكثر عليه بما ينفر منه، وألا يكون طلعة ثؤوبًا ولا ملة طروقًا. وعلى المحبوب إن ساواه في المحبة مثل ذلك، وإن كان دونه فيها فليس للمحب أن يكلفه الصعود إلى مرتبته ولا له الاستشاطة عليه بأن يسومه الاستواء معه في درجته.

وبحسبه منه حينئذ كتمان خبره وألا يقابله بما يكره ولا يخيفه به، وإن كانت الثالثة وهي السلامة مما يلقى بالجملة فليقنع بما وجد، وليأخذ من الأمر ما استدف ولا يطلب شرطًا ولا يقترح حقًا. وإنما له ما سنح بجده أو ما حان بكده، وأعلم أنه لا يستبين قبح الفعل لأهله، ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه ولا أقول قولي هذا ممتدحًا ولكن آخذًا بأدب الله عز وجل: "وأما بنعمة ربك فحدث".[٢]]

---

[١] ) طوق الحمامة :٧٥.

[٢] ) طوق الحمامة : ٧٨.

ثم يأتي باب الغدر ويذكر فيه ابن حزم كما أن الوفاء من سرى النعوت ونبيل الصفات، فكذلك الغدر من ذميمها ومكروها يقول :" لكثرة وجـــود الغـــدر فـــي المحبوب استغرب الوفاء منه فصار قليله الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود في سواهم. وفي ذلك أقول:

**قليل وفاء من يهوى يجل وعظم وفاء من يهوى يقل**

ومن قبيح الغدر أن يكون للمحب سفير إلى محبوبه يستريح إليه بأسراره فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه ويستأثر به دونه.

أما باب البين وهو افتراق المحبين عن بعضهما، وذكر صفات البعد بين المحبين ويبدأه ابن حزم بكلام عام عن طبيعة الفراق بشكل عام وأنه من طبيعة الحياة وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وقديما قال بعض الحكماء:

" الفراق أخو الموت ، فقال : بل الموت أخو الفراق" .

ثم يقسم ابن حزم البين إلى أقسام يقول: "والبين ينقسم أقسامًا: فأولها مدة يوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب، وإنه لشجي في القلب، وغصة في الحلق لا تبرأ إلا بالرجعة، وأنا أعلم من كان يغيب من يحب عن بصره يومًا واحدًا فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب ما يكاد يأتي عليه.[1]"

ثم بين منع من اللقاء، وتحظير على المحبوب من أن يراه محبه، فهذا ولو كان من تحبه ومعك في دار واحدة فهو بين: لأنه بائن عنك. وإن هذا ليولد من الحزن والأسف غير قليل، ولقد جربناه فكان مرًا، وفي ذلك أقول:

---

[1] ) طوق الحمامة :٨١.

**أرى دارها في كل حين وساعة ولكن من في الدار عني مغيب**

**ثم بين يتعمده المحب بعدًا عن قول الوشاة، وخوفًا أن يكون بقاؤه سببًا إلى منع اللقاء، وذريعة إلى أن يفشو الكلام فيقع الحجاب الغليظ. ثم بين يولده المحب لبعض ما يدعوه إلى ذلك من آفات الزمان، وعذره مقبول أو مطرح على قدر الحافز له إلى الرحيل.[١]]**

**ثم بين رحيل وتباعد ديار، ولا يكون من الأوبة فيه على يقين خبر، ولا يحدث تلاق. وهو الخطب الموجع، والهم المفظع، والحادث الأشنع، والداء الدوي. وأكثر ما يكون الهلع فيه إذا كان النائي هو المحبوب، وهو الذي قالت فيه الشعراء كثيرًا.**

**وإن للأوبة من البين الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تيأس من العودة فيه،لروعة تبلغ مالا حد وراءه وربما قتلت. في ذلك أقول:**

**للتلاقي بعد الفراق سروركسرور المفيق حانت وفاته**

**ويقول وإني لأعلم من نأت دار محبوبه زمنًا ثم تيسرت له أوبة فلـــم يكـــن إلا بقدر التسليم واستيفائه، حتى دعته نوى ثانية فكاد أن يهلك. ويطول حديثه عن البين**

**ثم يتحدث عن اختلاف الناس في أيهما أشد البين أم الهجر؟**

**يقول : " واختلف الناس في أي الأمرين أشد: البين أم الهجر؟ وكلاهما مرتقى صعب ومرت أحمر وبلية سوداء وسنة شهباء. وكل يستبشع من هذين ما ضاد طبعه، فأما ذو النفس الأبية، الألوف الحنانة، الثابتة على العهد، فلا شيء يعدل**

[١] )طوق الحمامة :٨٢.

عنده مصيبة البين، لأنه أتى قصدًا، وتعمدته النوائب عمدًا، فلا يجد شيئًا يسلى نفسه ولا يصرف فكرته في معنى من المعاني إلا وجد باعثًا على صبابته؛ ومحركًا لأشجانه، وعليه لا له، وحجة لوجده. وحاضًا على البكاء على إلفه. وأما الهجر فهو داعية السلو، ورائد الإقلاع".[1]

ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ويتعمده خوفًا من مرارة يوم البين وما يحدث به من لوعة الأسف عند التفرق، وهذا وإن لم يكن عندي من المذاهب المرضية، فهو حجة قاطعة. على أن البين أصعب من الهجر، وكيف لا وفي الناس من يلوذ بالهجر خوفًا من البين، ولم أجد أحدًا في الدنيا يلوذ بالبين خوفًا من الهجر، إنما يأخذ الناس أبدًا الأسهل ويتكلفون الأهون.

وكلنا يعلم علم اليقين أن البين والهج أبكى الشعراء

والبين يولد الحنين والاهتياج والتذكر. وفي ذلك أقول:

**ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى يبين بينهم عني فقد وقفا**

أما الباب التالي فقد ربطه بالسابق وهو باب القنوع فإذا وصل المحب لمرحلة البين ،و حرم الوصل،فلابد من القنوع بما يجد! وإن في ذلك لمتعللًا للنفس، وشغلًا للرجا، وتجديدًا للمنى، وبعض الراحة. وهو مراتب على قدر الإصابة والتمكن. فأولها الزيارة، وإنها لأمل من الآمال، ومن سرى ما يسنح في الدهر مع ما تبدى من الخفر والحياء، لما يعلمه كل واحد منها مما نفس صاحبه. وهي على وجهين: أحدهما أن يزور المحب محبوبه، وهذا الوجه

[1] ) راجع طوق الحمامة :٨٩.

واسع. والوجه الثاني أن يزور المحبوب محبه. ولكن لا سبيل إلى غير النظر والحديث الظاهر.[١]]

فالقناعة بين المتحابين عند ابن حزم يكون من خلال النظر والحديث الظاهر ثم يقول شعرًا يصف فيه هذا :

**فإن تنأ عني بالوصال فإنني سأرضى بلحظ العين إن لم يكن وصل**

**فحسبي أن ألقاك في اليوم مرةوما كنت أرضى ضعف ذامنك لي قبل**

وأما رجع السلام والمخاطبة فأمل من الآمال،ومن القنوع أن يسر الإنسان ويرضى ببعض آلات محبوبه، وإن له من النفس لموقعًا حسنًا وإن لم يكن فيه إلا ما نص الله تعالى علينا، ومن ارتداد يعقوب بصيرًا حين شم قميص يوسف عليهما السلام، وفي ذلك يقول:

**لما منعت القرب من سيدي ولج في هجري ولم ينصف**

**صرت بإبصاري أثوابهأو بعض ما قد مسه اكتفي**

**كذاك يعقوب نبي الهدى إذ شفه الحزن على يوسف**

ثم يتحدث عما يسمى في عصرنا الحديث بالتذكار فيقول:

"وما رأيت قط متعاشقين إلا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر مرشوشة بماء الورد، وقد جمعت في أصلها بالمصطكي وبالشمع الأبيض المصفى ولفت في تطاريف الوشي والخز وما أشبه ذلك لتكون تذكرة عند

[١] )طوق الحمامة:٩٣.

البين.وأما تهادي المساويك بعد مضغها والمصطكي إثر استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حظر عليهما اللقاء. وفي ذلك أقول قطعة منها:"[1])

**أرى ريقها ماء الحياة تيقنًا على أنها لم تبق لي في الهوى حشا**

ويأتي باب الضنى ليوضح معاناة المحب بعد فراق محبوبه وما يصيبه من وهن ومرض وتعب ولا يميزها إلا طبيب حاذق ماهر متفرس ناقد ولا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل، إما ببين وإما بهجر وإما بكتمان واقع لمعنى، من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والنحول، وربما أضجعه ذلك. وهذا الأمر كثير جدًا موجود أبدًا، والأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل، ويميزها الطبيب الحاذق والمتفرس الناقد. وفي ذلك يقول ابن حزم :[2]]

**يقول لي الطبيب بغير علم تداو فأنت يا هذاعليل**

**ودائي ليس يدريه سوائي ورب قادر ملك جليل**

**أأكتمه ويكشفه شهيق يلازمني وإطراق طويل**

وكل ماله أول له آخروكل حب إلى أحد أمرين: إما احترام منية، وإما سلو حادث.

والسلو المتولد من الهجر وطوله إنما هو كاليأس يدخل على النفس من بلوغها إلى أملها، فيفتر نزاعها ولا تقوى رغبتها.

---

[1] )طوق الحمامة:٩٤.

[2] ) طوق الحمامة:١٠١.

وقد قسم ابن حزم السلو إلى : النسيان والملل والاستبدال . والسلو في التجربة الجميلة ينقسم قسمين: سلو طبيعي، وهو المسمى بالنسيان يخلو به القلب ويفرغ به البال، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط..... والثاني سلو تطبعي، قهر النفس، وهو المسمى بالتصبر.

ويورد أسباب السلو ومنها :

- الملل.
- الاستبدال، وهو وإن كان يشبه الملل ففيه معنى زائد، وهو بذلك المعنى أقبح من الأول وصاحبه أحق بالذم.
- حياء مركب يكون في المحب يحول بينه وبين التعريض بما يجد، فيتطاول الأمر، وتتراخى المدة، ويبلى جديد المودة، ويحدث السلو.

جاء في الآثار: "من عشق فعف فمات فهو شهيد" وهنا يأتي باب الموت عند ابن حزم في طوق الحمامة ولكنه ليس أي موت بل موت من أحب وفارق فمات بسبب حبه .

**فإن أهلك هوى أهلك شهيدًا وإن تمنن بقيت قرير العين**

**روى هذا لنا قوم ثقات ثووا بالصدق عن جرح ومين**

واختتم كتابه ببابين هما باب في قبح المعصية، وباب في فضل التعفف، وبذلك يختتم الكتاب فقيهًا بعدما بدأه أديبًا وشاعرًا فيقول: «ليكون خاتمة إيرادنا وآخر كلامنا الحضّ على طاعة الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك مفترض على كل مؤمن». وذكر فيه ما قد يُحدِث الحب من معصية لله وبُعد عنه، وحذّر من الزنا واللواط

مدعمًا ما يقوله بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بهدف التنفير من ارتكاب الحرام وتجنب الشيطان لأنه غير مأمون الغوائل. وفي ذلك يقول:

**لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن**

**إبليس حيلم يمتوالعينباب للفتن**

وما أورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب وداود بن إيشى رسل الله عليهم السلام إلا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا إلى عصمته، وأن بنيتنا مدخولة ضعيفة، فإذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان أبناء أنبياء رسل ومن أهل بيت نبوة ورسالة متكررين في الحفظ مغموسين في الولاية محفوفين بالكلاءة، مؤيدين بالعصمة، لا يجعل للشيطان عليهما سبيل ولا فتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجبلة الموكلة والطبع البشري والخلقة الأصلية، لا يتعمد الخطيئة ولا القصد إليها، إذ النبيون مبرؤون من كل ما خالف طاعة الله عز وجلن لكنه استحسان طبيعي في النفس للصور، فمن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها إلا بحول الله وقوته. وأول دم سفك في الأرض فدم أحد ابني آدم على سبب المنافسة في النساء. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء".[1]]

يجدر بنا الإشارة إلى أن ابن حزم أقرّ في باب قبح المعصية بأن الرجل والمرأة في احتياج متساوٍ لقمع الشهوة على عكس الرأي الشائع في ذلك، إذ أورد حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–: من وقاه الله شر اثنتين دخل الجنة،

[1] ) راجع طوق الحمامة : ١٢٨،١٢٧ .

فسُئِل عن ذلك فقال: ما بين لحييه وما بين رجليه. وعلق قائلًا: «وإني لأسمع كثيرًا ممن يقول الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء. فأُطيل العجب من ذلك، وإن لي قولًا لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشيئين سواء[١]]

وهذان الفصلان وإن لم يكونا من جنس الباب فإنهما شاهدان على ما يقود إليه الهوى من الهلاك الحاضر الظاهر، الذي يستوي في فهمه العالم والجاهل؛ فكيف من العصمة التي لا يفهمها من ضعفت بصيرته، ولا يقولن امرؤ: خلوت فهو وإن انفرد فبمرأى ومسمع من علام الغيوب "الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"، "ويعلم السر وأخفى"، "وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا وهو عليم بذات الصدور". وهو عالم الغيب والشهادة، "ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم"، وقال: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب أليه من حبل الوريد. إذ يتلقى الملتقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".[٢]]

ويختتم الكتاب بباب التعفف والبعد عن المعصية والخوف من الله ونهي الفصل بأبيات تحث على التعفف والبعد عن الفاحشة والتوبة والرجوع إلى الله عز وجل وطلب المغفرة

---

[١] ) المرجع السابق : ١٢٢. راجع مقال :كيف رأى السلف الحب؟ بين طوق حمامة ابن حزم وذمّ ابن الجوزي بقلمآمال سامي. /https://www.sasapost.com/author/amalsamy .

[٢] ) نفسه: ١٣٣.

**فيأيها المغرور بادر برجعة فلله دار ليس تخمد نارها**

**ولا تتخير فانيًا دون خالد دليل على محض العقول اختيارها[١]**

والملاحظ أن ابن حزم اقتصر على أشعاره هو فقط . وأشد ما أعجبني في طوق الحمامة أنه حرك في نفسي ذكرى الأندلس المفقود ..فكأني أسير وسط حدائقها الغناء .. وأمتع نظري بقصورها المشيدة .. وبنخل فيها ورمان . كم تركوا من جنت وعيون .. وزروع ومقام كريم ..ونعمة كانوا فيها فاكهين .. كذلك وأورثناها قوما أخرين

وهو وإن صرح في مقدمة رسالته بأنه كان ليؤلف مثل هذا الكتاب، أو ينفق الوقت في جمعه وتبويبه، لولا مودة يحرص على تزيينها بالقبول والإيجاب بقوله: "ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من العفو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيها نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غدا.."، فهو في الحقيقة أراد أن يرفع أمامنا مشعلًا ينير طريقنا نحو الحق ويعطينا درسًا في موضوع الحب وصفاته، بعد أن رأى تخبط زمانه بالفساد، وانغماس أهله في التلهي والشهوات والملذات وقد ضاقت القصور بالجواري والغلمان والقيان، وانهالت الثروات على جيوب الموالي والحكام الأمر الذي أدى إلى زعزعة القيم والأخلاق والذمم وتردي أوضاع الأمن والاضطرابات، وثورات البربر والصقالبة ودمار بعض المدن وخاصة قرطبة[٢].]

اعتلى ابن حزم في "طوق الحمامة" منبرًا للوعظ والإرشاد، وتبيانًا للمعرفة وسبر أغوار نفوس الناس وغرائزها، بعد ثمرة تجربة ومعاناة ومعالجة، عدد

---

[١] ) طوق الحمامة :١٤٨.

[٢] ) راجع :المرجع نفسه : ٢.

**أخلاق النساء المحمودة والمذمومة وميولهم المختلفة، بعد أن عاش في كنفهن صبيًا، وعاشرهن شابًا، وارتوى من أخبارهن وقصصهن بعد حيازة ثقتهن به، وقارن طبائعهن بأخلاق الرجال وميولهم واهتماماتهم وحرصهم وإيثارهم، الأمر الذي يدل على سعة خبرته بنيات النساء والرجال وطبائعها وعواطفها، ومعتقدها، وهو أمر يعلنه صراحة بقوله: "ولقد أطلعت من سر معتقد الرجال والنساء على أمر عظيم[١].]**

**واللافت للنظر أنه وقف وقفة أطول عند خبرته بالنساء وأحوالهن فقال: "ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن، ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهم.. فلم أزل باحثًا عن أخبارهن، كاشفًا عن أسرارهن، وكن قد أنسن مني بكتمان، فكن يطلعنني على غوامض أمورهن، ولولا أن أكون منبهًا على عورات يستعاذ بالله منها لأوردت من تنبههن في السر، ومكرهن فيه، عجائب تذهل الألباب"[٢].]**

**وقد يرسم للقارئ فيه صورة للمرأة الأندلسية من خلال القصص والأخبار التي ذكرها بين ثنايا الرسالة، وقدم له فيه أكثر من نموذج وصورة وهو الفقيه يقول: "عني أخبرك"، ويتحدث عن قصة حبه لـ "تغم"، وقصة حب أخرى عاشها، وفي الصورتين يظهر لنا "العفة" وفضل التعفف، ويعرض له صورا لقبح المعصبة، كل ذلك منثور منتظم داخل "الطوق"[٣]!]**

---

[١] ) طوق الحمامة: في الالفة والآلاف علي بن حزم، الدكتور ابراهيم اعرابي آغا،ط/ دار الارقم بن ابي الارقم – بيروت / لبنان، ٦ ذو الحجة، ١٤٣٧ هـ ، ١٥.

[٢] ) المرجع السابق :٢٣ وما بعدها .

[٣] ) المرجع نفسه .

أحببت الكتاب كثيرًا فقد لامست كلماته قلبي فاستحسنتها، وأعجبت ببعضها الآخر .. ولا أدعي أنني أعطيت الكتاب حقه من الشرح والتحليل لكل ما جاء في هذا الكتاب .. ، سيما ما جاء به من أشعار تحتاج للكثير من الشرح والتفسير والتوضيح .يحتاج للقراءة بالعقل والقلب ففيه من العبر مافيه وفيه من الحكمة الكثير نتناولها بالشرح في الفصل القادم ، وكل ما جاء فيه من الحقائق وليس من خطبًا من الخيال .. كما قال مؤلفه .

# الفصل الثالث:

# الظواهر الفنية لكتاب طوق الحمامة

"تُعد رسالة "طوق الحمامة في الألفية والآلاف"، سفرًا من فرائد الكتب، التي حفلت بها مكتبتنا العربية، وجوهرة ثمينة، قل مثيلها في التراث الحضاري الإنساني ؛ لأنها جمعت بؤرة بحثها، في ميدان متخصص شيق، يتناول غريزة، من غرائز الإنسان الهامة، وعاطفة نبيلة طالما عصفت بالأنثى والذكر من البشر.[1]"

"وطوق الحمامة إن صح أنه أول كتاب أخرج للناس في الحب فهو على كثرة ما ألف بعده في موضوعه لا يزال ينفرد بمحاسن ويعصم بخصائص تقضي له بالمكانة العليا بين هذه الكتب فمن ذلك إلمامه ببعض ما يتفاهم به المتحابون وتعريجه على الخوض في معرفة سياسة الحب..[2]"

فهيرسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيدًا ولا مفتنًا، وأصول الحب، وكيفية الوصول إلى قلب المحبوب، وقبح المعصية وفضل التعفف.[3]"

- **المضمون والمحتوى** :

عالج الكتاب أمور الحب وصفاته وظروفه وأحواله ومعانيه وأعراضه، من منظار الجنسين، وتوسع في فلسفته، وما يعانيه العشاق والمحبون، من ألوان العذاب والعذل، والحرمان والألم والهجر والفراق، وما ينتشونه من أريج

---

[1] ) راجع :طوق الحمامة في الألفة والألاف ، علي بن حزم الأندلسي ، ط/ مؤسسة هنداوي للطباعة والثقافة ، ط/ الأولى ٢٠١٦م .

[2] ) طوق الحمامة : ص، ق.

[3] ) طوق الحمامة علي بن حزم، الدكتور ابراهيم اعرابي آغا، ١٤.

لحظات اللقاء ولذة الانضمام ونعيم الاجتماع[١].

شرح ابن حزم موضوعه من تجاربه الخاصة ومن أخبار الثقة، ومن مراقبة مجتمعه وعاداته وتقاليده، وقصص الرواة، متضمنًا بحثه الأمثال، والطرائف، والشعر، والقصص والتعليقات الجاذبة، والحوادث الجارية في زمنه، مرفقًا عباراته كل معنى يشد من انتباه القارئ ويبعد عنه روح السأم، جاليًا تركيزه جاذبًا انتباهه، كأن الكاتب يتناول فلسفة الحب من منظاره النفسي، مبينًا الأهواء، والعواطف والمشاعر، والحس الغريزي، والمشاعر الإنسانية، وسلطان النفس والروح التي تخفق في القلوب، وتسيطر على عقول المحبين والعشاق مثيرة فيهم ضروب الشوق والقلق والترقب واللهفة.[٢]

استغل ابن حزم المشاعر والعواطف الغريزية الإنسانية، ليبرزها لنا معربة منقاة متعددة الأصناف، فهو يعرض صفات الحبيب المثالي على ضوء العادات والقيم والأخلاق والدين، ويستقذر من الحبيب الماجن، السلوك الدنيء البعيد عن رضا الله، وكأنه في عمله يُقوم ميولنا وأهواءنا في الحب والعشق ليسيرها في الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى اللقاء الجلال، رافعًا من فلسفة الحب إلى مقام أسمى محمود.[٣]

## تقسيم موضوعات الكتاب :

مع أن ابن حزم يقول في رسالته مبينًا سبب تأليف كتابه : " وكلفتني أعزك الله ان أصنف لك رسالة في صفة الحب وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله على

---

[١] ) المرجع نفسه ،١٤.

[٢] ) المرجع نفسه،١٤.

[٣] ) طوق الحمامة علي بن حزم، الدكتور ابراهيم اعرابي آغا، ١٤.

سبيل الحقيقة " فالعنوان الذي اختاره لرسالته هو " في الألفة والألاف " ، يعني أنه تجاوز في رسالته ما كلفه به صديقه لأن " الألفة " كلمة أعم من " الحب " وهي ناظرة إلى الحديث الشريف في الأرواح: روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه معلقا مجزوما به عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ . " [1]وبسبب هذه العمومية نجده أحيانًا يخرج في أمثلته التي يوردها من دائرة العشق.

## والرسالة مقسمة إلى أربعة أقسام موضوعية هي :

القسم الأول : في طرق الحب (باب في ماهية الحب،و باب في علامات الحب،و باب في ذكر من أحب في النوم، و باب في ذكر من أحب بالوصف ، و باب في ذكر من أحب من نظرة واحدة، و باب في ذكر من لا تصح محبته إلا بالمطاولة، و باب التعريض بالقول، و باب الإشارة بالعين ، و باب المراسلة، و باب السفير.....)

القسم الثاني : في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة وهي :( باب الصديق المساعد ، وباب الوصل ، وباب طي السر ،وباب الكشف والإذاعة ،وباب الطاعة ،وباب المخالفة ،وباب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ،وباب القنوع ،وباب الوفاء ،وباب الغدر ،وباب الضنى ،وباب الموت.)

القسم الثالث : في الآفات التي تذهب الحب بين المحبين وهي :( باب العاذل ،وباب الرقيب ،وباب الواشي ،وباب الهجر ،وباب البين ،باب السلو .)

[1] )صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة.

**والقسم الرابع : في باب ضد الآفات ومقاومتها .[١]]**

**وبالرجوع لأقسام الرسالة نجد أنه قد قسمها إلى ثلاثين بابًا كما ذكرنا؛ لكن الغريب واللافت للنظر أن يتناول رجل سياسة وفقه وقانون مثل ابن حزم الأندلسي موضوع الحب فلا ريب أن يثير ذلك السؤال: من أي جانب تناول ابن حزم الحب؟! لم يعالج ابن حزم موضوعه هذا من زاوية فقهية أو قانونية، إلا أن ابن حزم ينطلق في طوق الحمامة "يحلل الحب تحليلًا نفسيًا يضاهي في مناهجه ونتائجه أحدث ما توصل إليه علم النفس المعاصر من معطيات في دراسة عاطفة الحب. ويلاحظ أن ابن حزم عندما يرسم شخصية أو يعرض فكرة أو يعالج مسألة يستشهد بما خبره أو بما سمعه ووثق به. فلقد كان لابن حزم مصادره وكان له منهجه لقد اقتصرت مصادر ابن حزم على ما شاهد وعاين ورأى وجرب وما صح عنده مما نقله إليه الثقات.**

**عالج ابن حزم الموضوع معتمدًا على الاستقراء والتتبع مستعينًا في بعض الأحيان بما وصل إليه من فلسفة اليونان ومرتكزًا على ثقافته الإسلامية، وفي معالجة لموضوع من مواضيع الحب نجده يتناوله من وجهتين، وجهة واقعية ووجهة دينافيزيكية. لقد كان ابن حزم يسعى لأن يأتي بجديد في كتابه وكان لابد أن يبعد عن أخبار الأعراب والمتقدمين ليس لأن هناك من سبقه إلى تناولها فحسب، بل لاعتقاده من جهة بكون مجتمعهم يختلف عن مجتمعه وهذا يحسب له ، ومن جهة ثانية لإيمانه بأن لا بد من أساس موثوق به لما يخرج به من آراء ونظريات ومعطيات في الموضوع. وعلى هذا حفل كتابه بجوانب ونماذج تجمع بين الطرافة والجدة فعكست شخصيته ومجتمعه. فقد عاش ابن**

---

[١] ) بحثفلسفة الأضداد( الحب والكراهية)د. وفاء رفعت العزي،الكلية التربوية المفتوحة/العراق / الموصل،٤/٤/٢٠١١م .

حزم أشد لحظات الأندلس قسوة، و شاهد بعينيه دولة الخلافة تنحدر وتتآكل، وتقوم على أنقاضها دويلات صغيرة خضعت لحكم ملوك الطوائف،مما يمكن عده السبب الغير المباشر لتأليف الكتاب ، لتذكير الأندلسيين بماضيهم القريب، ولتعزية النفس.

إنّ الكثير إن لم يكن المعظم من القصص التي يوردها ابن حزم في كتابه هي من القصص المتصلة بعائلته أو أصدقائه، أو عن من عرف عنهم أو سمع عنهم في مجتمعه. وفي ذلك يقول: التزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدّك والانتصار على ما رأيت أو صحّ عندي بنقل النقاط.١]

هذا وينطوي الكتاب على إشارات تاريخية، وتفسيرات نفسية، فالقارئ يبصر ابن حزم مرة يكون مؤرخًا، وعالم نفس تارة أخرى، كل ذلك بأسلوب مشرق ولغة بيانية صافية لا تخلو من مصطلحات المتكلمين والفقهاء.[٢]

ووشى ابن حزم نظريته عن الحب بأخبار مختلفة ، اتخذ منها مثلًا يدعم بها آراءه، وأشعار جميلة استدعتها المناسبة ، والأخبار التي جعل منها نموذجًا يحتذى ، ترك سيرته العاطفية تتحرك حولها، وكذلك الحياة العاطفية لأصدقائه ، ولقرطبيين آخريين كثيرين ليسوا دائمًا معروفين له ، هذه الأخبار النموذجية التي وشى بها ابن حزم تأملاته عن الحب ، واتخذ منها مثلًا ..[٣]

---

[١] ) طوق الحمامة : ٢،٣.

[٢] )http://www.khaldia-library.com

[٣] ) دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ،١٧٣.

ومجموعة الأشعار التي جاء بها في الطوق تكون ديوانًا كبيرًا والجانب الأكبر منها ذو طابع فلسفي عميق ، وتفصلها طبيعة موضوعاتها الغزلية ..[١]

**يقول ابن حزم** :

"وسأورد في رسالتي هذه أشعارا قلتها فيما شاهدته فلا تنكر أنت ومن رآها على أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر وأكثر ذلك ."[٢]

كما أنه فهو ينكر مغالاة الشعراء ومبالغاتهم فلكل شيء حد – كما قال – في طوق الحمامة، فوصف الشعراء لنحول المحبين، مثلًا، وتشبيه الدموع بالأمطار وأنها تروي السفار، وعدم النوم البتة، وانقطاع الغذاء جملة إلا أنها أشياء لا حقيقة لها وكذب لا وجه له ولكل شيء حد وقد جعل الله لكل شيء قدرا .[٣]

يُعد ذلك، كله –كذبًا لا وجه له، لذلك فهو يكره الكذب حتى في الشعر، فالأمور إذا خرجت عن حد المعقول، لا تصدق، ولا تجد لها التأثير المطلوب في النفوس؛ لذلك فهو يقر مبدأ الصدق والكذب في الشعر، منطلقًا فيه من نزعته

---

[١] ) راجع المرجع نفسه .

[٢] ) طوق الحمامة :س.

[٣] ) راجع : طوق الحمامة :١٥١.

الأخلاقية، فقد أعلى من مبدأ الصدق حتى جعله على رأس الفضائل الإنسانية كلها في كل مؤلفاته، خاصة في كتابه الأخلاق والسير في موازاة النفوس[1]]

كما وضح الكتاب قبح المعصية ، وفضل التعفف عندما تحول ابن حزم إلى واعظ تقي في فصليه الأخيرين ؛ مما يحبب إلى مكارم الأخلاق ويبعد عن دركات الشر والهلاك .

- **الأفكار** :

يعتمد الكتابُ على قصصٍ وأخبارٍ شهدها ابن حزم في الغالب أو نُقلت إليه. ذلك لأنه تربى في بيئةٍ تزخر بالنساء والجواري وهنَّ من علّمنه وأدّبنه فكان قد اطلع على الكثير من أسرارهنَّ والخبايا المتعلقة بهن.

والكتاب يزخر بالكثير من الأبيات الشعرية التي صاغها ابن حزم شواهد على فكرةٍ أو معنى أو قصةٍ ذكرها. والأخبار في الرسالة تجمع بين المتعة والتعرف على المجتمع الأندلسي في عصره، والدهشة كذلك؛ كقصة فتىً أحب جاريةً في منامه، وذهب قلبه ولبّه وهام بها! وأصبح في حياته مغمومًا مهمومًا من حبه الذي عرض له في المنام!.[2]]

- ولعل أكثر أفكار الكتاب جدليةً، هو ما ذكره ابن حزم من أن الحب لا يكون إلا مرةً واحدةً، ولحبيبٍ واحدٍ. وهو يرفض فكرة أن يحب المرء اثنين، أو يعشق شخصين متغايرين. ويُعد هذا لا يتعدى أن يكون شهوةً تسمى محبةً على

---

[1] ) انظر : الأخلاق والسير في مداواة النفوس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،ط/ دار الآفاق الجديدة – بيروت،ط/ الثانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[2] ) راجع أصل الحب في كتاب "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف"،ديانا نصار.

المجاز لا على الحقيقة، يقول:"وأما نفس الحب فما في المُبتلى به فضلٌ يصرفه في أسباب دينه ودنياه، فكيف بالاشتغال بحبٍّ ثانٍ؟!" – وفي ذلك يقول:[١]

**كذب المدعي هوى اثنين حتمًامثل ما في الأصول أكذب ماني**

**ليس في القلب موضعٌ لحبيبيـ نولا أحدث الأمور بثاني**

**فكما العقل واحدٌ ليس يدري خالقًا غير واحدٍ رحمانِ**

**فكذا القلب واحدٌ ليس يقوى غير فردٍ مباعدٍ أو مُدانِ**

**هو في شرعة المودة ذو شكٍ بعيدٌ من صحة الإيمانِ**

**وكذا الدين واحدٌ مستقيمٌ وكَفورٌ من عنده دينانِ**

– يراوح ابن حزم في الطوق بين الأفكار الشاعرية الحالمة المثالية، التي قد نستهجنها أو نستبعد وقوعها في زمننا، وبين الأفكار الواقعية التي تبقى لصيقة الحب في كل زمانٍ ومكانٍ؛ كالذي ورد في باب المساعد من الإخوان، وباب الرقيب، والواشي، والوصل، والهجر، والوفاء والغدر. مختتمًا الرسالة ببابين في قبح المعصية وفضل التعفف مؤكدًا، على نزعته الدينية وعلى منهجه الفقهي.[٢]

"وهكذا يربط ابن حزم عاطفة المحبة التي تربط الرجل بالمرأة بالأخلاق، بل إنه يربط الأخلاق في كل ما يصدر عن الإنسان من مشاعر وأفعال وأفكار... فالصدق والعفة والوفاء قمة القمم في السلوك البشري، وقد لقي عنتا كبيرا من

---

[١] ) طوق الحمامة :٢٤.

[٢] ) راجع مقال : " أصل الحب في كتاب "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف " /http://inkitab.me

**أهل زمانه الذين لا موه على أشعاره العاطفية، وهو الفقيه المتدين، واستنكر بعضهم منه تأليف طوق الحمامة في الحب."[١]**

**- لم يقف ابن حزم عند ذلك فحسب بل تحدث عن الحب عند الصالحين و الفقهاء و الأنبياء في الدهور الماضية و الأزمان القديمة، كما تطرق أيضًا الى قصة الملك و أفلاطون عندما أدرك أحد الملوك أن أفلاطون وُضع في السجن ظلمًا ذلك بعد أن بحث في نفسه عن حلقة الوصل بينه و بين أفلاطون فوجد أن منبع الحب الوحيد هو أنّ كليهما محبان للعدل و كارهان للظلم.[٢]]**

**- لم يروابن حزم الأخبار كلها بناء على مشاهدته ، إنما روى أخبار بناء على ما سمعه من الثقات فقد سمع ابن حزم بعض الأخبار وأوردها مثل قوله :**

**" ولقد حدثني ثقة من إخواني جليل من أهل البيوتات ..."[٣]]**

**ومثل قوله : " ولقد حدثني ثقة من أخواني أنه خلا يومً بجارية كانت له معارك في الصبا ..." [٤]]**

**ومثل قوله : " ولقد أخبرني ثقة من أخواني من أهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة.." [٥]]**

---

[١] ) ابن حزم الأندلسي "الشاعر" فاطمة طحطح .

[٢] )طوق الحمامة للإمام الفقه ابن حزم الأندلسي ، بقلم: تيل توماس ضل تيل/https://xa.yimg.com/kq/groups

[٣] ) طوق الحمامة :٨٥.

[٤] ) المرجع السابق : ١٤٢ وما بعدها .

[٥] ) المرجع نفسه : ١٢٢.

- **الصياغة والتعبير**:

- **الأسلوب**:

- هو الصورة التعبيرية التي يصوغ فيها الكاتب، ونعنى بها اللغة ، والعبارات ، والصور البيانية ، والحوار وما إليها من عناصر الصياغة ، و تنجلي براعة الكاتب في العرض بتمكنه من أسلوبه ، وعن طريقه قد يمسك بزمام القارئ ، ويؤثر فيه .والكاتب البارع هوالمتمكن من لغته والمسيطر عليها بحيث يستخدمها بطريقة مطاوعة ، فينقل مايريده من الصور والأفكار إليها دون جهد أو تعسف وهذا ما وجدناه في الطوق وعند صاحبه .

- **مكونات أسلوب الكتاب** :

كُتب هذا الكتاب بأسلوب فخم ولغة راقية من العصر الأوسط لأيام الأندلس .. فيه مفردات صعبة .. ولكن يبدو واضحًا أنه كُتِب بلغة راقية ورفيعة المستوى .. وكان –ابن حزم– حكيمًا ناصحًا ومجربًا خبيرًا وراويًا مُجِيدًا .. وفي كلامه فكرة استحسنها كل من قرأ الكتاب وفي رأيه حكمة مازالت قائمة إلى هذا العصر .. وكثيرًا ما أرى الحكمة في رأيه .. وقد كتب عن الحُبّ والمحبين أخبار شهدها ممن عاصرهم وأخرى نُقِلت إليه وراعى الدقة في النقل، كما أنه استشهد بالآيات والأحاديث وبأقوال الصحابة .. وكما ذكرت أنه كتب هذا الكتاب إجابة لرغبة أحد أصحابه وهي أن يصنف له "رسالةً في صِفة الحبّ ومعانيه وأسبابه وأعراضه" .. أما عن الأشعار التي كتبها فقد كانت من تأليفه على لسان صاحب الموقف ..

" ومهما أخطأ التوفيق ابن حزم بعمله هذا فقد أفادنا ما كان يخامره من الصبوة إلى نظم الشعر والنزعة إلى صناعته وأنه كان يغالب نفسه ويخالبها في صرفها عن الشعر وأنه لو لم يكن ذلك الفقيه الكبيروالمحدث العظيم رجل

المنطق والكلام وفحل الجدل والمناظرة والبالغ من الفلسفة درجة التجويد لكان للأندلس منه شاعر لايدع إلى جانب اسمه ذكرا لشاعر في قطره فصلا عن أن اختصاره على شعره قد حال بينه وبين شيء من الاحسان وأقام حاجزا دون بلوغه الغاية المرجوة من امتاع القارئ ؛ لأنه كثير ما يتسرع بإيراد خبر فإذا بلغ مكان اللذة منه بتره فجأة وحملك على أن تقرأ قطعة شعرية له تشبه ذلك الخبر أو تجري مجراه ولا تحوي إلا شيئا قليلا من طرافته ولدته ."[1]

و فيه العديد من قصص الثقات والعبر والأشعار الخالدة يقول في الطوق : " والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقات ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الأخبار عنهم وما مذهبي أن أتضي مطية سواي ولا أتحلى بحلى مستعار والله المستغفر والمستعان لارب غيره." [2]

ومما يلفت النظر أن نثره لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية السلاسة والتلقائية والسهولة والجرس الخارجي والموسيقى الداخلية .

وتتضح ثقافته الفلسفية في الطوق من خلال مزجه بين الفلسفة والنصوص الإسلامية والاهتمام بالمقدمات .

---

[1] ) طوق الحمامة : ر.

[2] ) طوق الحمامة : ٣.

- **الألفاظ**:

**أكثر ابن حزم من الاستشهاد بالمفردات والألفاظ الدينية مثل : النعيم، علام الغيوب ، [١] دار الجزاء ،عالم الخلود ، روعات القيامة ، الله ، يوم الحشر،العقاب ، الثواب، الجنة ، السموات ، الطاعة، الالباب ، ربه ، رضاه وسخطه ، عذابه ، دار القرار ، نار [٢].**

- **العبارات**:

**استعان ابن حزم في عباراته بأقوال الحكماء ، والأمثال الشعبية مثل :**

**قال في باب الواشي [٣]: "قال بعض الحكماء: آخ من شئت واجتنب ثلاثة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك والملول فإنه أوثق ما تكون به لطول الصحبة وتأكدها خذلك والكذاب فإنه يجني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر."[٤]**

**وقال في باب البين[٥] :"ولو سألت الأرواح بهفضلًا عن الدموع كان قليلًا. وسمع بعض الحكماء قائلًا يقول:الفراق أخو الموت، فقال: بل الموت أخو الفراق[٦]. والبينينقسم أقسامًا: فأولها مدة يوقن بانصرامها..**

---

[١] ) طوق الحمامة :١٤١.

[٢] ) طوق الحمامة : ١٤٥ .

[٣] ) طوق الحمامة : ٥٠ .

[٤] ) طوق الحمامة :٥٢.

[٥] ) طوق الحمامة :٨١.

[٦] ) هذا الأسلوب يشبه ما يروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السفر قطعة من العذاب ، لقلت : العذاب قطعة من السفر .

كما استعان بما جاء في بما جاء في الآثار يقول : "من عشق فعف فمات فهو شهيد"[١].

وورد في باب قبح المعصية [٢]

" من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقى شر الدنيا بحذافيراها."

- كما أورد الكثير من الأمثال منها :

"فعهدتها أصفى من الماء وألطف من الهواء وأثبت من الجبال وأقوى من الحديد وأشد امتزاجًا من اللون في الملون، وأنفذ استحكامًا من الأعراض في الأجسام، وأضوأ من الشمس وأصح من العيان، وأثقب من النجم، وأصدق من كدر القطا وأعجب من الدهر، وأحسن من البر، وأجمل من وجه أبي عامر، وألذ من العافية وأحلى من المنى، وأدنى من النفس، وأقرب من النسب، وأرسخ من النقش في الحجر ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من الموت، وأنفذ من السهم، وأمر من السقم، وأوحش من زوال النعم، وأقبح من حلول النقم وامضى من عقم الرياح، وأضر من الحمق، وأدهى من غلبة العدو، وأشد من الأسر، وأقسى من الصخر، وأبغض من كشف الأستار، وأنأى من الجوزاء، وأصعب من معاناة السماء، وأكبر من رؤية المصاب، وأشنع من خرق العادات وأفظع من فجأة البلاء، وأبشع من السم الزعاف؛ وما لا يتولد مثله عن الدخول والتراث وقتل الآباء وسبي الأمهات.[٣]

ومن وصفه لمودة المرأة مأخوذ من قول العرب " أصفى من ماء المفاصل " قال الأصمعي هو منفصل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار

---

[١] ) طوق الحمامة : ١١٥.

[٢] ) طوق الحمامة: ١٢١، ١٢٢.

[٣] ) طوق الحمامة : ١٣٢.

**يصفو ماؤه ويرق قال أبو ذؤيب وإن حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل "[١] قال الأصمعي :هو منفصل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار يصفو ماؤه ويرق[٢]**

**ويقول : [٣]**

**وجاء أيضا في العبارة السابقة في وصف المرأة : " أصدق من كدر القطا" مأخوذ من قول العرب : أصدق من قطاة لأن لها صوتًا واحدًا لا تغيره وصوتها حكاية لاسمها تقول قطا، قطا ، ولذلك تسميتها العرب الصدوق ، وكذلك قولهم " أنسب من قطاة " لأنها إذ صوتت عرفت .[٤]**

**وقال النابغة:[٥]:**

**تدعو قطا وبه تدعى إذا نُسبت يا صدقها حين تدعوها فتنتسب**

---

[١] نهاية الأرب في فنون الأدب النويري http://www.alwarraq.com
http://www.nooonbooks.com

[٢] راجع مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، حققه وفصله / محمد محي الدين عبد الحميد ،١٣٧٤- ١٩٥٥م ، ط/ المنار المحمدية – ٢١٧٥.

[٣] المرجع نفسه :٢١٧٣.

[٤] لسان العرب " مادة قطا" .

[٥] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني – القسم الأول – المجلد الأول ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ط/ دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، وراجع ديوان النابغة :١٧٧.

- **سمات الأسلوب**:
- التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف والمعاني الإسلامية .
- الاستشهاد بالقرآن الكريم :

أول ما يلفت الانتباه إكثار ابن حزم من الاستشهاد بالقرآن الكريم مما يدل على تأثره بالقرآن الكريم ، ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف خاصة إذا كان الموضوع له علاقة وثيقة بالدين ؛ حيث أورد العديد من الآيات القرآنية التي تتوافق مع المعنى الذي يريده الكاتب ، يقول في باب المعصيةعن النفس البشرية ، وقائدها الشهوة. قال الله تعالى: "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ." [١] وكنى بالقلب عن العقل فقال: " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ".[٢] وقال تعالى: "حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ".[٣] وخاطب أولي الألباب.

والله عز وجل يقول: "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ "[٤]، وقال تقدست أسماؤه: "وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ"[٥].

قال تعالى : "قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ".[٦]

---

[١] ) سورة : يوسف ، آية : ٥٣.

[٢] ) سورة : الذاريات آية :٣٧.

[٣] ) سورة : الحجرات آية :٧.

[٤] ) سورة : النور آية :٣٠.

[٥] ) سورة : النور آية :٣١.

[٦] ) سورة : طه آية :٨٧.

وإن فيما يبدو إلينا من تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الألفة، وتدابرهم بعد الوصال، وتقاطعهم بعد المودة، وتباغضهم بعد المحبة، واستحكام الضغائن وتأكد السخائم في صدورهم، لكاشفا ناهيا لو صادف عقولا سليمة وآراء نافذة وعزائم صحيحة. فكيف بما أعد اله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء، ومن الكشف على رؤوس الخلائق: "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ".[١]جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته.

وذلك قوله عز وجل: " يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ".[٢]

" يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ"[٣]،

"وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى"[٤]، " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[٥]. "عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ "[٦]، "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ "[٧]، وقال: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

[١] ) سورة : الحج آية :٢.

[٢] ) سورة : الفرقان آية : ٢٨ ،٢٩.

[٣] )سورة : غافر آية :١٩.

[٤] ) سورة : طه آية : ٧ .

[٥] ) سورة : المجادلة آية : ٧ .

[٦] ) سورة : الرعد آية : ٩ .

[٧] ) سورة : النساء آية : ١٠٨ .

الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)"[١].

"وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(٦٩)"[٢].

وقال عز وجل: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ "[٣].

ويقول الله تعالى: "الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) "[٤].

ومن قول مالك رحمه الله أيضًا أنه لا حد في الإسلام إلا والقتل يغني عنه وبنسخه إلا حد القذف، فإنه إن وجب على من قد وجب عليه القتل حد ثم قتل.

قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)"[٥]وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ

---

[١] ) سورة : ق آية : ١٦،١٧، ١٨.

[٢] ) سورة : الفرقان آية :٦٨،٦٩.

[٣] ) سورة : النور ، آية :٢.

[٤] ) سورة : النجم ، آية :٣٢.

[٥] ) سورة : النور ، آية :٤،٥.

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٢٣) "[١].

والكثير والكثير من الآيات التي وردت في الطوق .

## - الاستشهاد بالحديث الشريف :

استشهد ابن حزم بالأحاديث النبوية الشريفة وحرص حرصًا تامًا على ذكر سند الحديث كاملًا مما يدل على تأثير نشأته وثقافته الدينية وإلمامه بالأحاديث النبوية الشريفة .

ومن الأحاديث الشريفة التي استشهد بها ابن حزم في الطوق ما يأتي :

- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٢]

قال العلماء : معناه جموع مجتمعة , أو أنواع مختلفة . وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه , وقيل : إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها , وتناسبها في شيمها . وقيل : لأنها خلقت مجتمعة , ثم فرقت في أجسادها , فمن وافق بشيمه ألفه , ومن باعده نافره وخالفه . وقال الخطابي وغيره : تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ , وكانت الأرواح قسمين متقابلين . فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه , فيميل الأخيار إلى الأخيار , والأشرار إلى الأشرار .[٣]

---

[١] ) سورة : النور ، آية :٢٣.

١)صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط/ دار ابن كثير، – دمشق – بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م . كتاب أحاديث الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة.

[٣] ) راجع " https://islamqa.info / "

- وقوله صلى الله عليه وسلم: "الغيرة من الإيمان".
- ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء".

قال عبد الله وهو ابن مسعود: قال رجل: يا رسول الله، أي الذيب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو لله ندا وهو خلقك".

حدثنا الهمداني عن أبي إسحاق البلخي وابن سبويه عن محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن المسيب المخزوميين وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن".[1]]

- حدثنا الهمداني عن أبي إسحاق عن محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عبد الله، قال: ثنا سليمان عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات". قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".[2]]

---

[1] ) راجع : http://fatwa٢.islamweb.net/fatwa/index.php

[2] ) راجع : نيل الاوطار شرح منتقي الاخبار من أحاديث سيد الاخيار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني الجزء الثامن.

- وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجم عظامها فقد أفطر." فقد جعلت النظرة الأولى لك والأخرى عليك.[١]]

والملاحظ عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، ذكره سند الحديث كاملًا على سبيل المثال :

وحدثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا وهب بن مسرة ومحمد بن أبي دليم عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: "من وقاه الله شر اثنتين دخل الجنة". فسئل عن ذلك فقال: "ما بين لحييه وما بين رجليه."[٢]]

ويقول :

"حدثنا الهمداني عن أبي إسحاق البلخي وابن سيبويه عن محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن المسيب المخزوميين وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن". وبالسند المذكور إلى محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال أنى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال يا رسول الله، إني زنيت. فأعرض عنه. ثم رد عليه أربع مرات. فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه

---

[١] ) طوق الحمامة :١٢٤.

[٢] ) طوق الحمامة :١٢٢.

وسلم فقال: أبك جنون؟ قال: لا. قال فهل أحصنت قال: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فارجموه."[1]]

ويقول :

" حدثنا أبو سعيد مولى الحاجب جعفر في المسجد الجامع بقرطبة عن أبي بكر المقرئ عن أبي جعفر النحاس عن سعيد بن بشر عن عمرو بن رافع عن منصور عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا: البكر بالبكر جلد، وتغريب سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم. فيا لشنعة ذنب أنزل الله وحيه مبيناً بالتشهير بصاحبه، والعنف بفاعله، والتشديد لمقترفه، وتشدد في ألا يرجم إلا بحضرة أوليائه عقوبة رجمه، وقد أجمع المسلمون إجماعًا لا ينقضه إلا ملحد أن الزاني المحصن عليه الرجم حتى يموت". فيا لها قتلة ما أهولها، وعقوبة ما أفظعها، وأشد عذابها وأبعدها من الإراحة وسرعة الموت.[2]]

- **الاستشهاد بأبيات الشعر** :

أورد ابن حزم شعرًا من شعره في كلّ فصل من فصول الكتاب،لقد كان ابن حزم يورد شعرًا في كلّ باب يتعرّضُ له.وكلّ علامة من علامات، وأعراض الحُبّ. ولو يصرّح لنا ابن حزم بنهجه في شعره وتكلفه في صياغته ونظمه لاتّضَحَ لنا ذلك في شعره وعرضه على مقاييس النّقد، فإنّك لا تحسُّ في شعره حرارة ولا تتبيَّن فيه عاطفة صادقة، بل ترى فيه براعة في النظم وجنوحًا للجدل والإقناع.

---

[1] ) طوق الحمامة : ١٣٧.

[2] ) نفسه : ١٣٩.

" وخير ما يقال في شعر ابن حزم أنه صوب قريحة قطن في جوانبها من الفلسفة والفقه والكلام ما يفسد على أكثر الشعراء شاعريتهم ، ولهذا تـــراه ينحدر في شعره ويسف بقدر ما يترك من قيادة للفلسفة والكلام يذهبان به ويجيئان في أعراض تلك مرة ومآرب هذه أخرى ولو نجا من ذلك لجاء من شعره ما يجري مع الطبع ويتغلغل في أجزاء النفس ويشتد شـــبهه بكـــلام العرب ولمثل من صبابة أهل البادية الممزوجة برقة الحضر وخنوثته ومـــا يتبع هذا من دل وضرع واستكانة وتهافت على عتبـــات الخضـــوع لســـلطان الهوى وجبروت الحب ما لايقل عن شعر كثير وجميل وابن أبي ربيعـــة وذي الرمة . " [١]

كما استشهد بأبيات من الشعر القديم في بعض المواقف مثل قول ابن ســـقاء الكوفة أحمد بن الحسين المتنبي في وصف الحب إذ قال: [٢]

**لهَوَى النّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُعَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أني أسْلَمُ**

ويقول في اسم العشق ورسمه وما قيل في اسمه:

**يقول أناس لو نعت لنا الهوى فو الله ما أدري لهم كيف أنعت**

**فليس لشيء منه حد أحـده وليس لشيء منـه وقت مؤقت**

ويقول:

**إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا**

وقول الآخر :

**وما سرني أني خلي من الهوى ولو أن لي ما بين شرق ومغرب**

---

[١] ) طوق الحمامة : ر ، ش .

[٢] ) http://www.adab.com/

ولآخر :

**وما أحبتها فحشا ولكن رأيت الحب أخلاق الكرام**

ويقول في النهي عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ : [١]

**أقول لنفسي ما مبين كحالكوما الناس إلا هالك وابن هالك**

**صن النفس عما عابهاوارفض الهوىفإن الهوى مفتاح باب المهالك**

**رأيت الهوى سهل المبادي لذيذها وعقباه مر الطعم ضنك المسالك**

وهو قريب من معنى بيت أبي نواس:[٢]

**الا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق**

**اذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفته عن عدوّ في ثياب صديق**

أما قصائده الوعظية والزهدية فهي طويلة، قياسًا مع باقي شعره. وفيها تكرار للمعنى بصور مختلفة بغية تثبيته في الوجدان والأذهان معًا.

ومن هذه المطولات هائيته التي يبدأها بالحديث عن نفسه بضمير الغائب في باب "فضل التعفف":[٣]

**أقصر عن لهوه وعن طربه وعف في حبه وفي غربه**

**فليس شرب المدام همته ولا اقتناص الظباء من أربه**

---

[١] ) طوق الحمامة :١٣٩ .

[٢] )البداية والنهاية/إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / ط/دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . الجزء العاشر/أبو نواس الشاعر/٥.

[٣] ) طوق الحمامة :١٤١ –١٤٥.

**قد آن للقلب أن يفيق وأن  يزيل ما قد علاه من حجبه**

**ففي هذه القصيدة نداء للنفس بالعدول عن الأهواء واللذات ومتع الدنيا والحدو إلى دار القرار ، والمسارعة إلى النجاة والاجتهاد في الخير حتى تفور بالخلاص.**

**كما أن فيها دعوة زهدية حارة إلى نبذ الملذات وكل ما مصيره الفناء في هذه الدنيا التي تذوي غضارتها سريعا:[١]**

**دع عنك دارا تفنى غضارتهاومكسبا لا عبا بمكتسبه**

**فكم من طالب لمكاسب الدنيا، أتى عليه الموت فحال دون ما يريد، وكم من إنسان ارتقى أعلى القمم في مراتب الدنيا فإذا به ينزل إلى الحضيض... إلخ وليس التقي كالفاسق، كما أن صدق الكلام ليس من كذبه هكذا يمضي ابن حزم يحذر من الدنيا الغرارة، التي يحاول الإنسان الإمساك بمصالحها الآنية دون جدوى.[٢]**

**فكم من نفوس تقطعت في سبيل مكاسب واهية، وكم تجد في أثرها، وهي (أي الدنيا) تجد في الهرب باستمرار كالسراب. ويتعجب الشاعر –رغم كل هذا– من تهافت الناس عليها وعدم تمسكهم بالجوهر والأبقى.**

**ومن هذه القصائد الزهدية والوعظية أيضًا، هائية أخرى طويلة جدًا، وفيها كالقصيدة السابقة تحذير للنفس من الانسياق وراء ملذات الدنيا الفانية وعدم الاغترار بما قد يبدو من غضارة العيش فيها، فهي غضارة ستذوي سريعًا ويمحي لونها الأخضر. بعد هذا القسم الخبري ينتقل إلى التعجب، تعجبه من**

---

[١] ) نفسه :١٤٦.

[٢] ) ابن حزم الأندلسي "الشاعر" فاطمة طحطح ، www.aljabriabed.net/n٠٩_٠٨tahah.htm.٧

ذلك الإنسان المغتر بالدنيا وبمتع الحياة مع أن الموت يلاحقه، فتبًا لنفس لا ترعوي قادها لهو ساعة إلى العذاب:[1]

**أعارتك دنيا، مسترد معارها غضارة عيش سوف يذوي اخضرارها**
**وهل يتمنى المحكم الرأي عيشةوقد حان من دهم المنايا مزارها**
**وكيف تلذ العين هجعة ساعة وقد طال فيما عاينته اعتبارها**

القصيدة فيها نفس وعظي حزين، كأنه وتر جنائزي، وقد ساعد على ذلك إيقاع القصيدة الذي يمتد بطيئًا، وحركة المد التي أشبع بها الروي "الهاء" مما جعل إيقاعها مردودًا وممتدًا.

وفي هذه القصيدة تكرار التوبيخ للنفس الإنسانية، وهي عند ابن حزم نفس أمارة بالسوء، ميالة دومًا إلى الأهواء والرغبات المادية، كما أنها عمياء في ميولها إلا من كبح جماعها بالعقل، وألجمها بالتبصر في عواقب الأمور.

هكذا يمضي في القصيدة يقرع تلك النفس التي تنساق دومًا وراء الملذات والمكاسب الفانية، ضاربًا الأمثلة بالأمم البائدة.

ثم ينتقل إلى تحليل الاضطرابات النفسية لذلك الشخص الذي لا يستطيع التحكم في نوازعه وميوله، إما ضعفًا أو خوفًا من سلطة دنيوية وكأن ابن حزم يستبطن دواخله، ولا عجب، فقد ألف رسالته مداواة النفوس وفيها استشفاف باطني لكل أحوال النفس البشرية وأهوائها وتقلباتها بين الحسد والطمع والرياء والنفاق والانسياق مع الشهوات.... وكل الأمراض النفسية، من أبيات هذه القصيدة:[2]

**أراك إذا حاولت دنياك ساعيًاعلى أنها باد إليك ازورارها**

---

[1] ) المرجع نفسه : ٨.

[2] ) طوق الحمامة : ١٤٨ .

**وفي طاعة الرحمن يقعدك الوناوتبدي أناة لا يصح اعتذارها**

**تحاذر إخوانًا سنفنى وتنقضيوتنسى التي فرض عليك حذارها**

**كأني أرى منك التبرم ظاهرًا مبينًا! إذا الأقدار حل اضطرارها**

**هناك يقول المرء من لي بأعصر مضت كان ملكًا في يدي خيارها**

وهكذا يمضي ابن حزم في تحليل مشاعر الندم والحسرة التي قد تنتاب هذا الإنسان ساعة الاحتضار، وقد بقي وحيدًا يواجه ربه، بعد أن تبرأ منه كل الخلطاء يواجه ظلمة القبر، ويستحضر يوم البعث، مترقبًا يوم الجزاء.

وكأننا عندما نقرأ هذه القصيدة نتتبع مع الشاعر السيناريو المحزن والمفجع للمصير الإنساني، منذ شبابه وإقباله على الدنيا، وانغماسه فيها إلى آخر رمقه، بل كأننا نشاهد شريطًا لأطوار النفس البشرية يعرضه ابن حزم أمام شاشة مكبرة.

وقد ساعده على ذلك توظيفه لكثير من الأساليب الإنشائية كالنداء والتعجب والاستفهام الإنكاري والأمر والنهي والتقريع...الخ.

كما تراوح أسلوب القصيدة بين الإخبار والطلب، مما منحها حيوية وإقناعًا وتأثيرًا.كما أن هذه الأساليب كلها تكشف عن توتر الشاعر وعن مشاعر التدين في نفسه.[١]

و يدل استشهاد ابن حزم بالقرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة وأبيات الشعر على أنه كان من سمات التفاضل بين الأدباء في العصر الأندلسي .

---

[١] ) ابن حزم الأندلسي "الشاعر" فاطمة طحطح ، ٩.
www.aljabriabed.net/n٠٩_٠٨tahah.htm

## _ أنواع الأسلوب عند ابن حزم في الطوق :

تنوعت أساليب ابن حزم في كتابه منها :

- **أسلوب الوصف** .

من نماذج أساليب الوصف ما قاله ابن حزم في " ماهية الحب "[1]

"إننا علمنا أن المحبة ضروب. فأفضلها محبة المتحابين في الله عزوجل؛ إما لاجتهاد في العمل، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان ومحبة القرابة، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فكل هذه الأجناس فمنقضية مع انقضاء عللها ورائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها فاترة ببعدها. حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت. وإنك لتجد الإنسان السالي بزعمه. وذا السن المتناهية، إذا ذكرته تذكر وارتاح وصبا واعتاده الطرب واهتاج له الحنين."[2]

فقد وصف ابن حزم ضروب المحبة وصفًا دقيقًا بين أنواعها وبين مدى معرفة ابن حزم بالتجارب التي نقلها في كتابه .

وقد استخدم ابن الحزم أسلوب الوصف لجذب انتباه السامع المتلقي فوصف الشخصيات التي قدمها فقال في وصف جارية :

---

[1] ) طوق الحمامة :٤.

[2] ) طوق الحمامة : ٦،٧.

" ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في غير ذات الله عز وجل. فعهدتها أصفى من الماء وألطف من الهواء وأثبت من الجبال وأقوى من الحديد وأشد امتزاجًا من اللون في الملون، وأنفذا استحكامًا من الأعراض في الأجسام، وأضوأ من الشمس، وأصح من العيان، وأثقب من ألنجم، وأصدق من كدر القطا وأعجب من الدهر، وأحسن من البر، وأجمل من وجه أبي عامر، وألذ من العافية وأحلى من المنى، وأدنى من النفس، وأقرب من النسب، وأرسخ من النقش في الحجر ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من الموت، وأنفذ من السهم، وأمر من السقم، وأوحش من زوال النعم، وأقبح من حلول النقم وامضى من عقم الرياح، وأضر من الحمق، وأدمر من غلبة العدو، وأشد من الأسر، وأقسى من الصخر، وأبغض من كشف الأستار، وأنأى من الجوزاء، وأصعب من معاناة السماء، وأكبر من رؤية المصاب، وأشنع من خرق العادات وأقطع من فجأة البلاء، وأبشع من السم الزعاف؛ وما لا يتولد مثله عن الذحول والتراث وقتل الآباء وسبي الأمهات."[١]

فقد أسهب ابن حزم في وصف المرأة مما يدل على براعة أسلوب ابن حزم في الوصف وتمكنه من اللغة .

- **أسلوب الاستفهام** .

استخدم ابن حزم أسلوب الاستفهام في العديد من مواطن كتابه منها :

في " باب فضل التعفف"فقال لي: ما هذا الإطراق؟[٢]

[١] ) طوق الحمامة : ١٣٢.

[٢] ) نفسه :١٤٤.

ويقول في " باب البين "واختلف الناس في أي الأمرين أشد: البين أم الهجـر؟ وكلاهما مرتقى صعب ومرت أحمر وبلية سوداء وسنة شهباء.[1]]

- **الأسلوب القصصي** .

استخدم ابن حزم الأسلوب القصصي في كتابه طوق الحمامة .يقـول :" ولقـد حدثتني امرأة أثق بها أنها علقها فتى مثلها من الحسن وعلقته وشاع القـول عليهما، فاجتمعا يوما خاليين فقال: هلمي نحقق ما يقال فينا. فقالت: لا والله لا كان هذا أبدًا. وأنا أقرأ قول الله: "الإخلاء يومئـذ بعضـهم لـبعض عـدو إلا المتقين". قالت: فما مضى قليل حتى اجتمعا حلال[2]].

فقد جمع ابن حزم عناصر القصة في روايته السابقة من حيث :

- الحـدث :الذي هو اقتران الفعـل بـالزمن ، وهـو عنصـر الحركـة والتشويق في القصة ،ويلعب الحدث دورًا هامًا ؛لأنه يربط بين أجزائها ،وقـد اختار القاصي الحدث التي تشكل موضوعه،وكانت نهاية القصة ذات صلة وثيقة ببدايتها .

- **الأشخاص في القصة** :

لا يوجد الحدث بدون من يحدثه ، وأشخاص القصة هم الـذين تـدور حـولهم الأحداث أو هم الذين يقومون بها ، والشخصية في القصة كالشخصية الإنسانية في الحياة تتركب من عناصر مولده وبيئته والظروف المحيطة به ، وشخصية البطل في القصة كالإنسان في الحياة له جانبان ، جانب ظـاهر واضـح أمـام الناس ، وجانب خفي يطوي عليه صدره ، ولا يكشفه إلا لنفسه ، وقد يكشـف

[1] ) نفسه : ٨٩ .

[2] ) نفسه: ١٤٢.

بعضه للمقربين إليه ، والقاص يهتم بالجانبين جميعا ، وجميع شخصيات قصص الطوق من واقع حياة ابن حزم والبيئة المحيطة به .

- **الزمان والمكان** :

كل حدث لابد أن يقع في زمان معين ، وفي مكان معين ؛ ولذلك يرتبط الحدث بالظروف والعادات والمبادئ الخاصة ، وهو ارتباط ضروري لحيوية وبناء القصة وقد ظهرت بيئة الأندلس واضحة جلية في كتاب الطوق وخاصة في الأشعار التي استشهد بها ابن حزم .

- الحبكة أو المعالجة الفنية :

لكل كاتب طريقته في عرض حكايته في القصة ، ولكنهم يلتزمون ضربًا من الحبكة توفر للقصة تماسكها بعناصرها المختلفة،ومن خصائص الحبكة وعناصرها العقدة ، وهي الذروة التي تتجمع عندها الأحداث وتتعقد ، ثم تنفرج بعد ذلك حتى النهاية ، والقصة التقليدية تقوم على أساس تدرج الأحداث وتصاعدها نحو ذروتها في العقدة.

ومن قصص الطوق يقول ابن حزم :

" وحدثني أبو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء عن رجال من بني مروان ثقات يسندون الحديث إلى أبي العباس الوليد بن غانم أنه ذكر أن الإمام عبد الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهورًا وثقف القصر بابنه محمد الذي ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلًا وقعوده نهارًا فيه، ولم يأذن له في الخروج البتة ورتب معه في كل ليلة وزيرًا من الوزراء وفتى من أكابر الفتيان يبيتان معه في السطح. قال أبو العباس: فأقام على ذلك مدة طويلة وبعد عهده بأهله وهو في سن العشرين أو نحوها، إلى أن وافق مبيتي في ليلتي نوبة فتى من أكابر الفتيان، وكان صغيرًا في سنه وغاية في حسن

وجهه قال أبو العباس: فقلت في نفسي: إني أخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعه المعصية وتزيين إبليس وأتباعه له قال: ثم أخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل المطل على حرم أمير المؤمنين، والفتى في الطرف الثاني القريب من المطلع فظللت أرقبه ولا أغفل وهو يظن أني قد نمت ولا يشعر بإطلاعي عليه. قال: فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعدًا ساعة لطيفة ثم تعوذ من الشيطان ورجع إلى منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد إلى منامه. ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجليه من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى الفتى باسمه فأجابه، فقال له: انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته. فقام الفتى مؤتمرًا له. فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره. قال أبو العباس: فعلمت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير."[1]

وفي باب " الموت " يذكر حكاية :[2]

"لم أزل أسمعها عن بعض ملوك البرابر، أن رجلًا أندلسيًا باع جارية، كان يجد بها وجدًا شديدًا، لفاقة أصابته، من رجل من أهل ذلك البلد، ولم يظن بائعها أن نفسه تتبعها ذلك التتبع. فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الأندلسي تخرج. فأتى إلى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله أجمع وفي نفسه، فأبى عليه، فتحمل عليه بأهل البلد فلم يسعف منهم أحد. فكاد عقله أن يذهب ورأى أن يتصدى إلى الملك فتعرض له وصاح، فسمعه فأمر بإدخاله، والملك قاعد في علية له مشرفة عالية فوصل إليه. فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحمه وتضرع إليه، فرق له الملك فأمر بإحضار الرجل المبتاع فحضر، فقال له: هذا

---

[1] ) طوق الحمامة : ١٤٣-١٤٤.

[2] ) طوق الحمامة : ١٢٠-١٢١.

رجل غريب وهو كما تراه وأنا شفيعه إليك. فأبى المبتاع وقال: أنا أشد حبًا لها منه وأخشى أن صرفتها إليه أن أستغيث بك غدًا و أنا في أسوأ من حالته. فرامبه الملك ومن حواليه في أموالهم، فأبى ولج واعتذر بمحبته لها، فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحًا إلى الإسعاف قال للأندلسي: يا هذا مالك بيدي أكثر مما ترى، وقد جهدت لك بأبلغ سعي، وهو تراه يعتذر بأنه فيها أحب منك وأنه يخشى على نفسه شرًا مما أنت فيه، فاصبر لما قضى الله عليك. فقال له الأندلسي: فمالي بيدك حيلة؟ قال له: وهل ها هنا غير الرغبة والبذل، ما أستطيع لك أكثر. فلما يئس الأندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من أعلى العلية إلى الأرض. فارتاع الملك وصرخ، فابتدر الغلمان من أسفل، فقضى أنه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى، فصعد به إلى الملك، فقال: ماذا أردت بهذا؟ فقال: أيها الملك، لا سبيل لي إلى الحياة بعدها ثم هم أن يرمي نفسه ثانية، فمنع. فقال الملك: الله أكبر، قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة، ثم التفت إلى المشتري فقال: يا هذا، إنك ذكرت أنك أود لها منه وتخاف أن تصير في مثل حاله، فقال: نعم. قال: فإن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا أن الله عز وجل وقاه، فأنت قم فصحح حبك وترام من أعلى هذه القصبة كما فعل صاحبك، فإن مت فبأجلك وإن عشت كنت أولى بالجارية، إذ هي في يدك ويمضي صاحبك عنك، وإن أبيت نزعت الجارية منك رغمًا ودفعتها إليه، فتمنع ثم قال، أترامى. فلما قرب من الباب ونظر إلى الهوى تحته رجع القهقري، فقال له الملك: هو والله ما قلت، فهم ثم نكل، فلما لم يقدم قال له الملك: لا تتلاعب بنا، يا غلمان، خذوا بيديه وأرموا به إلى الأرض فلما رأى العزيمة قال: أيها الملك، قد طابت نفسي بالجارية. فقال له: جزاك الله خيرًا. فاشتراها منه ودفعها إلى بائعها، وانصرفا".

- فقد جمعت القصة بين عناصرها مكتملة مع الحبكة أو المعالجة الفنية .

**ويقول قصة في البعد والبين : [1]**

**البين أبكى الشعراء على المعاهد فأدروا على الرسوم الدموع، وسقوا الديار ماء الشوق، وتذكر ما قد سلف لهم فيها فأعولوا وانتخبوا، وأحيت الآثار دفين شوقهم فناحوا وبكوا.**

**ولقد أخبرني بعض الوراد من قرطبة وقد استخبرته عنها، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث، في الجانب الغربي منها وقد أمحت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعابًا مفزعة بعد الأمن ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان، وملاعب للجان، ومكامن للوحوش، بعد رجال كالليوث، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية. تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبا، فكأن تلك المحاريب المنمقة. والمقاصير المزينة، التي كانت تشرق إشراق الشمس، ويجلو الهموم حسن منظرها، حين شملها الخراب، وعمها الهدم، كأفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائمًا فيها. وتزهد في طلبها بعد أن طالما زهدت في تركها، وتذكرت أيامي بها ولذاتي فيها وشهور صباي لديها، مع كواعب إلى مثلهن صبا الحليم، ومثلت لنفسي كونهن تحت الثرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة وقد فرقتهن يد الجلاء، ومزقتهن أكف النوى، وخيل إلى بصرى بقاء تلك النصبة بعد ما علمته من حسنها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيما لديها، وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها، وأوهمت سمعي صوت الصدى والهام[2] عليها، بعد حركة تلك الجماعات التي**

---

[1] ) طوق الحمامة :٩١ -٩٢.

[2] ) الصدى : البوم الذكر ،والهام : جمه هامة وهي طائر من طيور الليل .

ربيت بينهم فيها، وكان ليلها تبعًا لنهارها في انتشار ساكنها والتقاء عمارهـا، فعاد نهارها تبعًا لليلها في الهدوء والاستيحاش، فأبكى عيني، وأوجـع قلبـي، وقرع صفاة كبدي، وزاد في بلاء لبي، فقلت شعرا منه :

**لئن كان أظمانا فقد طالما سقى وإن ساءنا فيها فقد طالما سرا**

جمع ابن حزم بين الإبداع النثري والشعري في الألفـة والآلاف مـن خـلال حكاياته وقصصه ، فعُد أهم كتبه على الإطلاق في هذا الميدان، ميدان الإبـداع النثري. إضافة إلى ما يحتويه من جدة في الموضوع، ومن تحلـيلات نفسـية أخلاقية عميقة. لم يسبق إليها، ومن منهجية مبتكرة في العرض والتحليل.

ويمتاز أسلوبه النثري في هذا المؤلف الفريد بالجمع بين قوة التـدفق، ودقـة الوصف والتحليل ومتانة السبك والبعد عن التكلف والصنعة، إذ كان يأخذ على الكثير من معاصريه الصنعة التي كانوا يكتبون بها، أو ينظمون بها أشعارهم.[١]

## الجرس الموسيقى في الطوق:

(الجرس الموسيقي) هو الكلام، وجرست وتجرست: أي تكلمت بشيء وتنغمت والجرس: الصوت، وقيل: الصوت الخفي، وقيل: الحركة، وتنصرف اللفظة إلى نغم الكلام، ويقال: أجرس: علا صوته.[٢]

---

[١] )ابن حزم الأندلسي "الشاعر" فاطمة طحطح ، www.aljabriabed.net/n٠٩_٠٨tahah.htm.٢

[٢] )لسان العرب، مادة (جرس).

**على أن الجرس يعد من الموسيقى الداخلية للألفاظ لأن "الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، كالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبح[1]"]**

**فقد وظف ابن حزم العديد من الألفاظ لخدمة جرسه الموسيقي في كتابه مثل :**

## الطباق :

**يقول ابن حزم :**

**لم يصح الفرق بين الحسن والقبيح، وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة، وبهذا حسن الأمر والنهي، ووجب الاكتمال، وصح الثواب والعقاب، واستحق الجزاء .[2]]**

**فجاء الطباق في النص بدون تكلف ولا تصنع بغرض توضيح المعنى وإبراز المضمون .**

**ويقول في باب " السلو"[3]]**

**"وقد علمنا أن كل ماله أول فلابد من آخر، حاشى نعيم الله عز وجل، الجنة لأوليائه وعذابه بالنار لأعدائه ."**

---

[1] )المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن ضياء الدين بن الأثير، تحقيق / أحمد الحوفي، بدوي طبانة١، ط/دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة ١٦٩.

[2] ) طوق الحمامة : باب قبح المعصية ، ١٢٢.

[3] ) نفسه : ١٠٤.

ويقول في "باب البين "[١]وقد علمنا أنه لا بد لكل مجتمع من افتراق، ولكل دان من تناء،.....وتبدل السرور بالحزن.

فقد استخدم التضاد ليحدث موسيقى في العبارات والألفاظ .

ومن الموسيقى التي اختارها ابن حزم تمنح المتلقي أريحية تطرب لها النفس تقسيم العبارات قال في باب " قبح المعصية ": " وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم..."[٢]

كما استخدم الجناس بأنواعه ليجذب المتلقي لينصت إليه قال في باب :" ماهية الحب " [٣]فعلمنا أنه شيء في ذات النفس وربما كانت المحبة لسبب من الأسباب، وتلك تفنى بفناء سببها.

## المجازات والاستعارات والتشبيهات:

دعا إلى الاقتصاد في استعمال المجازات والاستعارات والتشبيهات، وكل ضروب الصنعة، وإن وردت في بعض صفحات الطوق ، فهو يجب التوسط والاعتدال في كل شيء، كما أنه لا يساير القولة المشهورة "أعذب الشعر أكذبه". ونتيجة لذلك صدر في كل ما نظمه من أشعار في الطوق عن تجربة حقيقية معاشة، واستقى لغته من واقع التجربة وليس من الذاكرة، كما هي عادة معظم شعراء العرب، ومن ثم اتسمت تجربته بالصدق في شعره ولغته بالحيوية والعفوية.[٤]

---

[١] ) طوق الحمامة : ٨٢.

[٢] ) طوق الحمامة :١٢٢.

[٣] ) طوق الحمامة :٤.

[٤] ) راجع : ابن حزم الأندلسي "الشاعر" فاطمة طحطح ،٨.
www.aljabriabed.net/n٠٩_٠٨tahah.htm

ثم تأتي قصائده في فصلي " قبح المعصية"" وفضل التعفف" خلاصة تجاربـــه، وتعبيره عن نظراته في الدهر والزمان وتأملات في أخلاق الناس، وفي الحياة والموت وما بعد الموت.[1]]

**ومـن عرف الرحمن لم يعص أمـره ولو أنـه يعطه جميع الممالك**

**سبيل التقي والنسك خير المسالك وسالكها مستبصر خير سالك**

**فمـا فقد التنغيص مـن عاج دونها ولا طاب عيش لأمري غير سالك**

**وطوبى لأقوام يؤمون نحـوها بخفة أرواح وليـن عرائك**

**لقد فقدوا غـل النفوس وفضلوا بعز سلاطين وأمـن صعالك**

**فعاشوا كما شاءوا وماتوا كما اشتهوا وفـازوا بدار الخلد رحب المبارك**

**عصوا طاعة الأجساد في كـل لذة بنور محـل ظلمة الغي هاتك**

**فلولا اعتداد الجسم أيقنت أنـهم يعيشون عيشاً مثل عيش الملائك**

وهي قصائد طويلة نسبيًا قياسًا مع أشعاره الأخرى في الموضـــوعات التـــي سلف عرضها في كتابه .

[1] ) طوق الحمامة :١٤٠ .

## أخيرًا علة الحب عند ابن حزم:[١]

أرجع ابن حزم حدوث الحب والتآلف بين الأرواح لسبب التقائها من قبل في مقرّ عالمها العلوي، وأن علّته من الله، لقوله تعالى:"هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهِ"، ويعلّق ابن حزم على الآية: «فجعل علّة السكون أنها منه، ولو كان علّة الحب حُسن الصورة الجسدية لوجب ألّا يستحسن النقص من الصورة.

يُثبت ابن حزم في أول حديثه عن الحب أنه لا دخل للإنسان فيه، إذ إن القلوب بيد الله تعالى، ولذلك فهو «ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة»، ودلّل على أنه ليس بمنكر ولا محظور بأن كثيرًا من الخلفاء والأئمة المهديين الراشدين وقعوا في الحب، وذكر من بينهم عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس وحبّه لدعجاء، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم الذي كان شغوفًا بطروب أم عبد الله ابنه. وذكر من الصالحين والفقهاء ما أثبت شعرهم وأخبارهم عن الحب مثل عبيد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة السبعة، وقول ابن العباس: "هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود".

وذكر أيضًا في باب آخر[٢] ما يُبيّن مذهبه في اعتبار الحب فطريًّا اضطراريًّا، لا يحدث عن عمد واختيار: «أما استحسان الحسن وتمكّن الحب فطبع لا يُؤمر به ولا يُنهى عنه، إذ القلوب بيد مقلبها، ولا يلزمها غير المعرفة والنظر في فرق

---

[١] )انظر : مقال "كيف رأى السلف الحب؟ بين طوق حمامة ابن حزم وذمّ ابن الجوزي " آمال سامي https://www.sasapost.com/author/amalsamy /

[٢] ) طوق الحمامة : باب طي السر . ٣٣.

**ما بين الخطأ والصواب، وأن يعتقد الصحيح باليقين، أما المحبة فخلقة، وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة."**

## نتائج البحث

**١- يمثّل ابن حزم الظّاهريّ رمزًا من رموز الفكر والفلسفة العربيّة الإسلاميّة ، ونحن نأخذه هنا كنموذج للأدب الراقي ، وابن حزم رجل موسوعيّ ، وصاحب نتاج فكري غزير في الأصول والفقه واللغة والأدب والتّاريخ والمنطق ، ويمثّل كتابه**

**" طوق الحمامة " وما ضمنه من أشعاره خطوة نوعيّة في مجال التّحليل الفلسفيّ والنّفسيّ والإبداع الأدبيّ كما يرى بعضهم.[١]**

**٢- يُعدّ ابن حزم رائد التيّار الأخلاقيّ في النّقد ، فقد كان واضحًا في ضبط النتاج الأدبيّ والشّعريّ بمقاييس الدّين والأخلاق والفقه ، فقد حدّ الشّعر بقوله : " إنّما يسميّ النّاس شعرًا ما ضمّته الأعاريض " [٢]، وهو في تعريفه هذا قداميّ الاتجاه يفصل بين الشّعر والنّثر بالوزن والقافية فلا مكان لمصطلحات المدرسة الأرسطيّة من محاكاة وتخييل وتطهير ... وغيرها .**

**٣- يصر ابن حزم في أكثر من مرة على التأكيد بأنه لا يقتفي أثر أحد فيما كتب في كتابه فيقول: "...ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الأخبار عنهم. وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلى بحلي مستعار"[٣].**

---

[١] ) راجع :دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام ،، يوسف عيد ، ط/ المؤسسة الحديثة للكتاب ،٢٠٠٦م ، ٥٢٣ .

[٢] )انظر:التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية ، ابن حزم ، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ،١٩٥٩م ، ص ٢٠٢ .

[٣] ) طوق الحمامة : ق.

٤- يُعدّ كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي من أروع ما خُط من أدب العصر الوسيط في دراسة الحب، لتحليله لهذه الظاهرة، وأبعادها الإنسانية الواسعة، ولقدرته على سبر طبائع البشر وأغوارهم.

٥- استوعب البحث كل الموضوعات التي عالجها ابن حزم في كتابه.

٦- أكد ابن حزم من خلال نظرية الحب الدنيوي التي عالجها في طوق الحمامة والتي تكاد تتداخل مع التجربة العامة للناس، وبالتالي فإنها تتعلق بالقيم الأشد بروزًا في الحياة البشرية، وتكشف عن مختلف أوجه الحضارة الاجتماعية والفكرية والدينية في العالمين العربي والإسلامي.

٧- عنى ابن حزم بالنظرية من جميع جوانبهابجوهر وطبيعة الحب وأسمائه وصفاته وأسبابه وأنواعه والفروق بين هذه الأنواع كما أنها تعني في الوقت نفسه، أحوال المحبين وظروفهم ،وحياتهم ، ومواقفهم تجاه من يحبون .

٨- يصف الكتاب النسيج الاجتماعي والثقافي في عصر ابن حزم ، كذلك وضع المرأة آن ذاك باعتبارها عنصرًا أساسيًا في هذه العاطفة المعقدة ( الحب) فيه العديد من قصص الثقات والعبر والأشعار الخالدة.

٩- ذكرنا أن من أ سباب تأليف الكتاب تسلية أحد أصدقاء ابن حزم المقربين ، سيما حين كان يذكر له أخبار العشاق وقصصهم ومعاناتهم وكثير مما يسمعه ويقرأه عن أحوالهم ..لكن لا يعد هذا السبب الوحيد الذي يدفع فيلسوفًا ومبدعًا كابن حزم لأن يقوم بذلك فحسب ، بل عبقريته وإبداعه مع ما هيئه له الجو الحضاري والغنى المعرفي .

١٠- الكتاب سيرة ذاتية لكاتبه مع ما يماثل حياته العاطفية، فقد جمع ابن حزم ما بين الفكرة بمفهومها الفلسفي وما بين الواقع التاريخي، فكان بذلك محلقًا بأفكاره، وراسخًا على الأرض بقدميه، جريئًا وصريحًا ومتحررًا من

الخوف ومن التزمت، وقد دعم أفكاره بحكايات سمعها أو عاشها، واختار لها العديد من أشعاره المناسبة.

١١- لقد كان ابن حزم يورد شعرًا في كلّ باب يتعرّضُ له فقدأورد ابن حزم شعرًا من شعره في كلّ فصل من فصول الكتاب، وكلّ علامة من علامات، وأعراض الحُبّ. ولو يصرّح لنا ابن حزم بنهجه في شعره وتكلفه في صياغته ونظمه لاتّضَحَ لنا ذلك في شعره وعرضه على مقاييس النّقد، فإنّك لا تحسُّ في شعره حرارة ولا تتبيَّن فيه عاطفة صادقة، بل ترى فيه براعة في النظم وجنوحًا للجدل والإقناع.

١٢- شعر ابن حزم في طوق الحمامة، شعرٌ قليلُ القيمة الفنية في معظمهِ؛ لأنَّهُ يتذرعُ أحيانًا بالحجج العقلية والمنطقية، مما يجافي طبيعة الشعر الوجدانية، أو يتَّسم أحيانًا اخرى بالنثرية والمباشرة مضحّيًا بالصورة الفنية التي بدونها لا تقوم للشعر قائمة، إلى آخر هذه المآخذ التي يغص بها شعر ابن حزم، نقول: إنَّهُ وإنْ كنّا قد رأينا ذلك، إلاّ أنَّهُ لا يجب إنكار ما لطوق الحمامة من أهمية وما لشعره أحيانًا، قليلة من قيمة فنية في بعض النماذج التي وفّق فيها الشاعر، ولعلّ حياة ابن حزم وعصره الذي انعكست عليه مظاهر الشّرف والانطلاق لعل هذه الحياة وذلك العصر هما اللّذان أبعدا شعر ابن حزم في الحُبِّ عن مثيله لدى العذريين من شعراء الجزيرة الذين كانوا أقرب إلى الفطرةِ والطبع والوجدان العفوي الصادق من أمثال قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وجميل بثينة وغيرهم.[١]]

١٣- ينبّه ابن حزم إلى أن الشعر الذي يقوله في هذا الكتاب على لسانه لا يعبّر عن ذاته بأي حال، فيقول: «وسأورد في رسالتي هذه أشعارًا قلتُها فيما

[١] ) راجع طوق الحمامة : ر ، ش .

شاهدتُه، فلا تنكر أنت ومن رآها عليّ أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلّين بقول الشعر»، رغم أنه يظهر في ثنايا الكتاب بعض ما عاناه ابن حزم نفسه من الحب، فقد ذكر في أحد أبواب الكتاب، باب البين، ما عاناه من ألم بعد فراق جاريته نعم: «وعني أخبرك أني أحد من دهي بهذه الفادحة وتعجّلت له هذه المصيبة، وذلك أني كنت أشدّ الناس كلفًا وأعظمهم حبًّا لجارية لي كانت فيما خلا اسمها نعم، وكنا قد تكافأنا المودة، ففجعتني بها الأقدار واخترمتها الليالي ومرّ النهار، وصارت ثالثة التراب والأحجار».

١٤- جاء في كتاب طوق الحمامة مجموعة من أخبار وأشعار وقصص المحبين.... وتناول الحب عاقبة الحب على قاعدة التحليل النفسي من خلال التريث والملاحظة الدقيقة لأحوال المحبين.

١٥- عالج ابن حزم موضوعه في أسلوب قصصي شيق،وتحدث عن عواقب الحب في أبواب في كتابهفمثلًا في باب من أحب من أول نظرة فإنه يحذر من هذا الحب وعواقبه...الحب لأول وهلة.ويروي قصة لأحد أصحابه أنقلها لكم (خبر) إني لأعلم فتيًا من أبناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة، عالية المنصب، غليظة الحجاب، وهو مجتاز، ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها، فعلقته وعلقها وتهاديا المراسلة زمانًا على أرق من حد السيف، ولولا أني لم أقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لأوردت مما صح عندي أشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل،أسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين بمنه، وكفانا.[١]]

[١] ) طوق الحمامة : ٢١.

١٦- توسع ابن حزم في مفهوم الحب عندما ذكر أنواعه، على النحو التالي:

- المتحابين في الله .
- محبة القرابة .
- محبة الألفة.
- في الاشتراك في المطالب.
- محبة التصاحب والمعرفة.
- محبة البر.
- محبة الطمع في جاه المحبوب.
- محبة المتحابين لسر يجمعهما ويلزم عليهما ستره.
- محبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ( الشهوة الجسدية).
- محبة العشق التي هي اتصال النفوس .

كل هذه الأنواع ناقصة ومنتهية بانقضاء أسبابها إلا محبة العشق فهي لا تنقضي إلا بموت صاحبها!!

١٧- أسس ابن حزم لغة غزلية مختلفة و مخالفة لما كان معهودًا لدى معظم الشعراء، وهي لغة قائمة على الصدق والواقعية وعلى التجارب العاطفية الحقيقية التي مر بها.كما أن المرأة التي يصفها، أو يصف حبه لها، امرأة واقعية متعينة، وقد سمى بعض النساء بأسمائهن الحقيقية في شعره مثل : خلوة التي جاء ذكرها في باب "من أحب من نظرة واحدة "[١].]و الدعجاءوطروب وغَزلان و صبح التي وردت أسماؤهن في باب "الكلام في ماهية الحب" [٢] وليست أي أسماءفهي أسماء نساء أحبهن الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين

[١] ) طوق الحمامة : ٢٠.

[٢] ) طوق الحمامة : ٤،٥.

يقول ابن حزم : " إذ القلوب بيد الله عز وجل وقد أحب من الخلفاء المهدبين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرحمن بن معاوية الدعجاء، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب أم عبد الله ابنة أشهر من الشمس، ومحمد بن عبد الرحمن وأمره مع غَزلان أم بنيه عثمان والقاسم والمُطرف معلوم، والحكم المستنصر وافتتانه بصبح أم هاشم المؤيد بالله رضي الله عنه ."

١٨- النزوع نحو التقاط الجزئيات الصغيرة والتفاصيل الدقيقة، وقد لا حظنا ذلك، سواء في تصويره لعواطفه وحبه أو تصوير للبيئة الأندلسية وطبيعتها أو في تصوير دقائق الأخلاق البشرية.وتقديم صورة دقيقة عن النزعات الإنسانية ومظاهرها الخارجية من حركة ولون ونظرة وكلام وصمت... الخ.

١٩- هذا النزوع نحو التقاط الجزئيات يمكن أن نطلق عليها (السمة الأندلسية) ونجدها لدى بعض الشعراء الكبار، ذوي الإحساس المرهف، أمثال ابن خفاجة .....

٢٠- سعى ابن حزم في كتابه في وصف الحب كما يراه هو في مجتمعه ومن حوله، لا نقلًا عن أخبار العرب والمتقدمين -أي أنه اقتصر على أخبار الحب في أهل زمانه وحدهم، وكذلك أهله هو حيث الأندلس- وأشار إلى أنه سيتبع أسلوب الكناية في الحكي عن الأسماء التي لا يمكنه ذكرها.

# توصيات البحث

- يُعدّالأدب الأندلسي من الأدب الراقي لغة وأسلوبًا مما يحتاج إلى المزيد من الدراسات لكشف أغواره والتنقيب عن فضائله .

- لا يعيب أدبنا أن نربطه بالغاية التربوية والخلقية وهو ما يجب أن نؤكد عليه في جميع بحوثنا ودراساتنا فيجب أن نتمثلالقيم الإسلاميّة السّامية فيهما.

- لا نعمم ولا نجزم في الأحكام الأدبية مطلقًا ، فما نعممه اليوم يمكن أن نخصصه غدًا ، والأدب وثيق الصلة بالمشاعر والعواطف الإنسانية وهي مـــن الأمور التي يستحيل الجزم فيها بأحكام مطلقة .

# المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الأخلاق والسير في مداواة النفوس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،ط/ دار الآفاق الجديدة – بيروت ،ط/ الثانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣- الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، ط/ دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م.

٤- ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه الفكري والتربوي ، د/ حسان محمد حسان ، ط/ دار الفكر العربي .

٥- البداية والنهاية/إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / ط/دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٦- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق / إبراهيم الأبياري ،ط/ دار الكتاب المصري– القاهرة ، ط/ دار الكتاب اللبناني –بيروت ، ط/ الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٧- تاريخ الحكماء جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي

٨- تذكرة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .

٩- التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية ، ابن حزم ، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ،١٩٥٩م .

١٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ المكتبة العصرية- بيروت ، القاهرة ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م.

١١- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي ، المحقق: بشار عواد معروف - محمد بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي- تونس ، الطبعة الأولى ، طبعة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م .

١٢- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ،١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

١٣- دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " د. الطاهر أحمد مكي ، ط. مكتبة وهبة ، ط/٢، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧هـ .

١٤- دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام ،، يوسف عيد ، ط/ المؤسسة الحديثة للكتاب ،٢٠٠٦م.

١٥- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق : إحسان عباس ،الطبعة : ١/ ١٩٧٩م ، الناشر : الدار العربية للكتاب عنوان الناشر : ليبيا - تونس ج/١٣٠١.

١٦- رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم، تحقيق إحسان عباس ،ط/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - لبنان ط/ ١ ، ١٩٨٠م.

١٧- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ط/ مكتبة المنار الأردن - الزرقاء، ط/ الثانية ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

١٨- سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط/ مؤسسة الرسالة١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.

١٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي،الناشر: دار الكتب المصرية،ط/ ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢م .

٢٠- صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط/ دار ابن كثير، - دمشق - بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢١- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينيالناشر : مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٢٢- طبقات الأمم القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، تحقيق جورجي زيدان ،ط/ الهلال الفجالة في مصر ط/ ١٩١٢م .

الناشر/ الراهب لويس شيخو اليسوعي مطبعة اليسوعيين ، بيروت سنة ١٩١٢م.

٢٣- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، الإمام محمد أبي علي حزم الأندلسي ، محمد ياسين عرفة ، ط/ مكتبة عرفة بدمشق .

٢٤- طوق الحمامة علي بن حزم، الدكتور ابراهيم اعرابي آغا،ط/ دار الارقم بن ابي الارقم - بيروت / لبنان، ٦ ذو الحجة، ١٤٣٧ هـ .

٢٥- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، علي بن حزم الأندلسي ، ط/ مؤسسة هنداوي للطباعة والثقافة ، ط/ الأولى ٢٠١٦م .

٢٦- ظهر الإسلام / أحمد أمين ، الجزء الثالث ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

٢٧- عصر الدول والامارات الأندلس ، د. شوقي ضيف ، ط/دار المعارف، بدون.

٢٨- في الحب والحب العذري ، د/ صادق جلال العظم ، ط/ دار المدى للثقافة والنشر ، ط/٥، ٢٠٠٢ م.

٢٩- لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ط/ دار صادر – بيروت/ الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٣٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن ضياء الدين بن الأثير، تحقيق / أحمد الحوفي، بدوي طبانة١، ط/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة.

٣١- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، حققه وفصله / محمد محي الدين عبد الحميد ،١٣٧٤-١٩٥٥م ، ط/ المنار المحمدية .

٣٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله شهاب الدين العمري، تحقق: كامل سلمان الجبوري – مهدي النجم، ط / دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

٣٣- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي ، تحقق: محمد علي شوابكة، الناشر : دار عمار – مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٣٤- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٣٥- المغرب في حلى المغرب أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ، تحقيق : د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – القاهرة، ط/ الثالثة، ١٩٥٥م .

٣٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، ط/ دار الثقافة ،بيروت- لبنان ، ط١/١٩٩٧م.

٣٧- نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط/ مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٣٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، تحقيق /إحسان عباس ، ط/ دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م .

## الدوريات :

١- صحيفة العرب ، نُشر في ٢١/٠٢/٢٠١٦، العدد: ١٠١٩٢

٢- صحيفة الأهرام الجمعة ٢٥من محرم ١٤٣٥ هـ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٣ السنة ١٣٨ العدد ٤٦٣٧٩.

٣- مجلة الرياض الجمعة ١٨جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٣مايو ٢٠٠٨م – العدد ١٤٥٧٨ مقال " كتاب طوق الحمامة لابن حزم في طبعتين مختلفتين " خالد بن أحمد السليمان .

## البحوث والدراسات :

١- بحث شعرية النثر . طوق الحمامة أ نموذجا ، دانا عبد اللطيف سليم حمودة ، إشراف الدكتور محمد خليل الخلايلة ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١١-٢٠١٢.

٢- بحث فلسفة الأضداد( الحب والكراهية)د. وفاء رفعت العزي، الكلية التربوية المفتوحة/العراق / الموصل،٤/٤/٢٠١١م .

## المراجع الإلكترونية:


١- الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

٢- www.hindawi.org/books/٩٧٠٨٦١٧٩

٣- www.albayanNews

٤- http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٢٤٥٠٢٩.aspx

٥- https://www.sasapost.com/author/amalsamy/

٦- http://www.alarab.co.uk/?action=reset

٧- http://inkitab.me/

٨- http://www.albayan.ae/books/eternal-books/

٩- https://xa.yimg.com/kq/groups/

١٠- https://islamqa.info/

١١- www.aljabriabed.net/n٠٩_٠٨tahah.htm

١٢- http://www.adab.com/

١٣- http://www.alkottob.com/

# محتويات البحث


| م | الموضوع |
|---|---|
| ١ | غلاف |
| ٢ | المقدمة |
| ٣ | تمهيد |
| ٤ | الفصل الأول :<br>التعريف بكتاب طوق الحمامة ومؤلفه. |
| ٥ | الفصل الثاني :<br>الدراسة الموضوعية لكتاب طوق الحمامة . |
| ٦ | الفصل الثالث :<br>الظواهر الفنية لكتاب طوق الحمامة . |
| ٦ | المضمون والمحتوى : |
| ٧ | تقسيم موضوعات الكتاب : |
| ٨ | الأفكار : |
| ٩ | الصياغة والتعبير: |
| ١٠ | الألفاظ: |
| ١١ | العبارات: |
| ١٢ | سمات الأسلوب:<br>الاستشهاد بالقرآن الكريم : |

| | |
|---|---|
| ١٣ | الاستشهاد بالحديث الشريف : |
| ١٤ | الاستشهاد بأبيات الشعر : |
| ١٥ | أنواع الأسلوب عند ابن حزم في الطوق : |
| ١٦ | أسلوب الوصف . |
| ١٧ | أسلوب الاستفهام . |
| ١٨ | الأسلوب القصصي . |
| ١٩ | الجرس الموسيقى في الطوق: |
| ٢٠ | الخاتمة<br>نتائج البحث. |
| ٢١ | توصيات البحث. |
| ٢٢ | المصادر والمراجع . |
| ٢٣ | محتويات البحث. |